السِّحر

الوقاية.. العلاج

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ باللَّه من شُرور أَنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه اللَّه فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد فإن أصدق الحديث كلام اللَّه تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد فهذا الكتاب يعالج قضية في غاية الخطورة تمس بالدرجة الأولى عقيدة المسلمين، وتهز بعنف كيان المجتمع كله. وإن كان فيها شيء من الحق؛ فقد غلب عليه الباطل ولا علاج لهذا الأمر إلا بالرجوع إلى كتاب اللَّه تعالى، وهدي النبي ﷺ، والمداومة على قراءة القرآن والذكر والدعاء، والتقرب إلى اللَّه بكثرة النوافل، والصدقات، وإعالة المحتاجين، وإغاثة الملهوفين.

من أجل ذلك قمنا بإعداد هذا الكتاب رجاء نفع الناس، ونسأل اللَّه تعالى أن يتقبله ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وقبل الشروع في المراد؛ أتقدم بين يديه بمقدمة عن السحر ومنشئه وحكمه وكيف نتقيه. والحسد وكيفية دفعه، واتقاء شر الحاسد. فأقول بعد حمد اللَّه تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ:

١

السحر

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

وقال: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣].

وقال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦].

وقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

وقال: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩].

وَالنَّفَّاثَاتُ: السَّوَاحِرُ. تُسْحَرُونَ: تُعَمَّوْنَ[١].

قال الحافظ بن حجر في الفتح: قال الراغب وغيره: السحر يطلق على معان:

أحدها: ما لطف ودقّ، ومنه: سحرت الصبي: خادعته واستملته، وكل من استمال شيئاً فقد سحره، ومنه: إطلاق الشعراء سحر العيون لاستمالتها النفوس، ومنه: قول الأطباء: الطبيعة ساحرة، ومنه: قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥] أي: مصروفون عن المعرفة. ومنه: حديث: «إن من البيان لسحرا»[٢].

الثاني: ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها. نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده، وإلى ذلك الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾.

---

(١) ذكره الحافظ في الفتح [الجزء العاشر ـ كتاب الطب ـ باب السحر].

(٢) رواه البخاري [٤٨٥١] عن ابن عمر رضي اللّه تعالى عنهما.

وقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] ومن هنا سموا موسى ساحراً، وقد يستعين في ذلك بما يكون فيه خاصية كالحجر الذي يجذب الحديد المسمّى: المغناطيس.

الثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الرابع: ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها ـ بزعمهم ـ.

قال ابن حزم: ومنه ما يوجد من الطلسمات كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب، وكالمُشَاهد ببعض بلاد الغرب وهي: «سرقسطة» فإنها لا يدخلها ثعبان قط إلا إن كان بغير إرادته.

وقد يجمع بعضهم بين الأمرين الأخيرين كالاستعانة بالشياطين ومخاطبة الكواكب؛ فيكون ذلك أقوى ـ بزعمهم ـ.

قال أبو بكر الرازي في الأحكام له: «كان أهل بابل قوماً صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة، ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم، وعملوا أوثاناً على أسمائها، ولكل واحد هيكل فيه صنمه يتقرب إليه بما يوافقه ـ بزعمهم ـ من أدعية وبخور. وهم الذين بُعث إليهم إبراهيم عليه السلام وكانت علومهم: أحكام النجوم. ومع ذلك فكان السحرة منهم يستعملون سائر وجوه السحر وينسبونها إلى فعل الكواكب لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم. انتهى».

ثم السحر يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها، ويطلق ويراد به فعل الساحر، والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط كالرّقي والنفث في العقد، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور، وتارة بجمع الأمرين الحسي والمعنوي. وهو أبلغ.

واختلف في السحر فقيل: هو تخييل ولا حقيقة له. وهذا اختيار أبي جعفر الأستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة.

قال النووي: والصحيح أن له حقيقة. وبه قطع الجمهور. وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة انتهى.

لكن محل النزاع: هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال إنه تخييل

فقط؛ منع ذلك، ومن قال إن له حقيقة. اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض، أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني.

فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية؛ فمسلّم، وإن كان بالنظر إلى الواقع، فهو محل الخلاف. فإن كثيراً ممن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه.

ونقل الخطابي: أن قوماً أنكروا السحر مطلقاً. وكأنه عَنَى القائلين بأنه تخييل فقط، وإلا فهي مكابرة.

وقال المازري: «جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة. وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك: ما يقع من حُذَّاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده بالتركيب نافعاً، وقيل: لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ لكون المقام مقام تهويل، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك؛ لذكره».

قال المازري: «والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك» قال: «والآية ليست نصاً في منع الزيادة. ولو قلنا إنها ظاهرة في ذلك».

ثم قال: «والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة: أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقع غالباً اتفاقاً، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدّي».

ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر على فاسق.

ونقل النووي في زيادات الروضة عن «المتولي» نحو ذلك.

وينبغي أن يُعْتَبرَ بحال من يقع الخارق منه. فإن كان متمسكاً بالشريعة متجنباً للموبقات فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين.

وقال القرطبي: «السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته: الوقوف على خواص الأشياء والعلم

بوجوه تركيبها وأوقاته، وأكثرها تخييلات بغير حقيقة، وإيهامات بغير ثبوت، فيعظم عند من لا يعرف ذلك، كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصياً».

ثم قال: والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيراً في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وإنما المنكور: أن الجماد ينقلب حيواناً أو عكسه بسحر الساحر أو نحو ذلك. وقول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ في هذه الآية بيان أصل السحر الذي يعمل به اليهود، ثم هو مما وضعته الشياطين على سليمان بن داود عليهما السلام، ومما أُنزل على هاروت وماروت بأرض بابل، والثاني: متقدم العهد على الأول لأن قصة هاروت وماروت كانت من قبل زمن نوح عليه السلام على ما ذكر ابن إسحاق وغيره، وكان السحر موجوداً في زمن نوح إذ أخبر الله عن قوم نوح أنهم زعموا أنه ساحر، وكان السحر أيضاً فاشياً في قوم فرعون وكل ذلك قبل سليمان. واختلف في المراد بالآية فقيل:

إن سليمان كان جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه، فلم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر؛ جاءهم شيطان في صورة إنسان. فقال لليهود: هل أدلكم على كنز لا نظير له؟ قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي. فحفروا ـ وهو متنح عنهم ـ فوجدوا تلك الكتب فقال لهم: إن سليمان كان يضبط الإنس والجن بهذا.

ففشا فيهم أن سليمان كان ساحراً، فلما نزل القرآن بذكر سليمان في الأنبياء؛ أنكرت اليهود ذلك وقالوا: إنما كان ساحراً؛ فنزلت هذه الآية.

رواه الطبري وغيره عن السدي، من طريق سعيد بن جبير بسند صحيح نحوه، ومن طريق عمران بن الحارث عن ابن عباس موصولاً بمعناه.

وأُخرج من طريق الربيع بن أنس نحوه ولكن قال: إن الشياطين هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه ثم لما مات سليمان استخرجته وقالوا: هذا العلم الذي كان سليمان يكتمه الناس.

ورواه من طريق محمد بن إسحاق وزاد: أنهم نقشوا خاتماً على نقش خاتم سليمان وختموا به الكتاب وكتبوا به الكتاب وكتبوا عنوانه: «هذا ما كتب آصف بن

برخياء الصّديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم» ثم دفنوه. فذكر نحو ما تقدم.

وأُخرج من طريق العوفي عن ابن عباس نحو ما تقدم عن السدي ولكن قال: إنهم لما وجدوا الكتب قالوا: هذا مما أنزل اللّه على سليمان؛ فأخفاه منا.

وأُخرج بسند صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلقت الشياطين في الأيام التي ابتلي فيها سليمان، فكتبت كتباً فيها سحر وكفر، ثم دفنتها تحت كرسيه، ثم أخرجوها بعده فقرأوها على الناس وملخص ما ذكر في تفسير هذه الآية: أن المحكي عنهم أنهم ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ هم أهل الكتاب إذ تقدم قبل ذلك في الآيات إيضاح ذلك، والجملة معطوفة على مجموع الجمل السابقة من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ [البقرة: ١٠١] إلى آخر الآية و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ موصولة على الصواب. وغلط من قال إنها نافية؛ لأن نظم الكلام يأباه، و﴿تَتْلُواْ﴾ لفظه مضارع لكن هو واقع موقع الماضي، وهو استعمال شائع، ومعنى ﴿تَتْلُواْ﴾ تتقوّل، ولذلك عدّاه بعَلَى، وقيل معناه: تتبع أو تقرأ، ويحتاج إلى تقدير. قيل: هو تقرأ على زمان ملك سليمان.

وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ ما نافية جزماً.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ هذه الواو عاطفة لجملة الاستدراك على ما قبلها وقوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، الناس: مفعول أول، والسحر، مفعول ثانٍ والجملة حال من فاعل كفروا. أي: كفروا معلمين، وقيل: هي بدل من كفروا، وقيل: استئنافية. وهذا على إعادة ضمير: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ على: ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ ويحتمل عوده على الذين: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ فيكون حالاً من فاعل ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ أو استئنافاً.

وقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ ﴿مَا﴾ موصولة ومحلها النصب عطفاً على السحر، والتقدير يعلمون الناس السحر المنزل على الملكين، وقيل: الجر عطفاً على ملك سليمان، أي: تقولا على ملك سليمان وعلى ما أنزل قيل: بل هي نافية عطفاً على: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ والمعنى: ولم ينزل على الملكين إباحة السحر. وهذان الإعرابان ينبنيان على ما جاء في تفسير الآية عن البعض، والجمهور على خلافه وأنها موصولة. ورد الزجاج على الأخفش دعواه أنها نافية، وقال: الذي جاء في الحديث والتفسير أوْلى.

وقوله: ﴿بِبَابِلَ﴾ متعلق بما أنزل، أي: في بابل، والجمهور على فتح لام

الملكين، وقُرِئ بكسرها، وهاروت وماروت بدل من الملكين، وجرا بالفتحة أو عطف بيان، وقيل: بل هما بدل من الناس ـ وهو بعيد ـ وقيل: من الشياطين على أن هاروت وماروت اسمان لقبيلتين من الجن وهو ضعيف.

وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ بالتشديد من التعليم، وقُرِئ في الشاذ بسكون العين من الإعلام بناء على أن التضعيف يتعاقب مع الهمزة، وذلك أن الملكين لا يُعَلمان الناس السحر بل يُعْلِمانهم به وينهيانهم عنه، والأول أشهر وقد قال عليّ: الملكان يعلمان تعليم إنذار لا تعليم طلب وقد استُدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها؛ وهو التعبد للشياطين أو للكواكب، وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلاً. قال النووي: «عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عَدَّهُ النبي ﷺ من السبع الموبقات[1]، ومنه ما يكون كفراً. ومنه ما لا يكون كفراً، بل معصية كبيرة؛ فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر؛ فهو كفر وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه، ولا يُقتل، فإن تاب؛ قُبلت توبته، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر؛ عُزِّرَ.

وعن مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر، ولا يستتاب بل يتحتم قتله كالزنديق.

وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين: إما لتمييز ما فيه كفر من غيره، وإما لإزالته عمن وقع فيه.

فأما الأول: فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعاً، كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان؛ لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل بخلاف تعاطيه والعمل به.

وأما الثاني: فإن كان لا يتم ـ كما زعم بعضهم ـ إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق؛ فلا يحل أصلاً وإلا جاز للمعنى المذكور.

وقد أورد الإمام البخاري هذه الآية إشارة إلى اختيار الحكم بكفر الساحر، لقوله فيها: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر، وكذا قوله في الآية على لسان الملكين: ﴿فِتْنَةٌ﴾ فإن فيه إشارة إلى أن تعلم السحر

(١) ذكره الحافظ في الفتح [الجزء العاشر ـ كتاب الطب ـ باب السحر].

كفر. فيكون العمل به كفراً. وهذا كله واضح على ما قررته من العمل ببعض أنواعه.

وقد زعم بعضهم: أن السحر لا يصح إلا بذلك وعلى هذا فتسمية ما عدا ذلك سحراً؛ مَجَاز، كإطلاق السحر على القول البليغ.

وقصة هاروت وماروت جاءت بسند حسن من حديث ابن عمر في مسند أحمد[1]، وأطنب الطبري في إيراد طرقها بحيث يقضي بمجموعها على أن للقصة أصلاً خلافاً لمن زعم بطلانها كعياض ومن تبعه، ومحصلها: أن اللَّه رَكَّبَ الشهوة في ملكين من الملائكة اختباراً لهما وأمرهما أن يحكما في الأرض فنزلا على صورة البشر وحكما بالعدل مدة، ثم افتتنا بامرأة جميلة فعوقبا بسبب ذلك بأن حبسا في بئر ببابل منكسين، وابتليا بالنطق بعلم السحر، فصار يقصدهما من يطلب ذلك فلا ينطقان بحضرة أحد حتى يحذراه وينهياه، فإذا أصر؛ تكلما بذلك ليتعلم منهما ذلك. وهما قد عرفا ذلك فيتعلم منهما ما قص اللَّه عنهما. واللَّه تعالى أعلم».

وقول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. في الآية نفي الفلاح عن الساحر وليس فيها دلالة على كفر الساحر مطلقاً، وإن كثر في القرآن إثبات الفلاح للمؤمن ونفيه عن الكافر، لكن ليس فيه ما ينفي نفي الفلاح عن الفاسق وكذا العاصي.

وقوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] هذا يخاطب به كفار قريش يستبعدون كون محمد ﷺ رسولاً من اللَّه لكونه بشراً من البشر، فقال قائلهم منكراً على من اتبعه: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي أفتتبعونه حتى تصيروا كمن اتبع السحر وهو يعلم أنه سحر؟!

وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٩] هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل. ولا حجة له بها لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون وكان سحرهم كذلك، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل.

قال أبو بكر الرازي في «الأحكام»: «أخبر اللَّه تعالى أن الذي ظنه موسى من أنها تسعى؛ لم يكن سعياً، وإنما كان تخييلاً».

---

(١) رواه أحمد في المسند [٢/ ١٣٤] وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف، ومتنه باطل. وقال الشيخ شاكر في تعليقه على المسند: طرقه كلها إما معلولة، أو واهية. ورد كلام الحافظ ابن حجر.

وذلك أن عصيهم كانت مجوفة قد ملئت زئبقاً، وكذلك الحبال كانت من أُدم محشوة زئبقاً، وقد حفروا قبل ذلك أسراباً وجعلوا لها آزاجاً وملأوها ناراً؛ فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزئبق حركها؛ لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن يطير، فلما أثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته، فظن من رآها أنها تسعى، ولم تكن تسعى حقيقة.

قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] والنفاثات: السواحر. وهو تفسير الحسن البصري ورواه الطبري بسند صحيح، وذكره أبو عبيدة أيضاً في «المجاز» قال: النفاثات: السواحر ينفثن. وأخرج الطبري أيضاً عن جماعة من الصحابة وغيرهم أنه: النفث في الرقية.

وقد وقع في حديث ابن عباس في ما رواه البيهقي في «الدلائل» بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي ﷺ أنهم وجدوا وتراً فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت سورة: «الفَلَقِ» و: «النَّاسِ» وجعل كلما قرأ آية؛ انحلت عقدة. ورواه ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس: «أن علياً وعماراً لما بعثهما النبي ﷺ لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة» فذكر نحوه.

قوله: ﴿تُسْحَرُونَ﴾ تُعَمَّون بضم أوله وفتح المهملة وتشديد الميم المفتوحة وضبط أيضاً بسكون العين.

قال أبو عبيدة في كتاب: «المجاز» في قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩] أي: كيف تعمون عن هذا وتصدون عنه، قال: ونراه من قوله: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ عنه فلم نبصره.

وأخرج في قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: تخدعون أو تصرفون عن التوحيد والطاعة.

قلت ـ والقائل الحافظ بن حجر ـ: وفي هذه الآية إشارة إلى الصنف الأول من السحر الذي قدمته.

وقال ابن عطية: السحر هنا مستعار لما وقع منهم من التخليط ووضع الشيء في غير موضعه كما يقع من المسحور. والله تعالى أعلم.

حديث سحر النبي ﷺ

في الصحيح عن عائشة رضي اللَّه تعالى عنها قالت: سحر رسول اللَّه ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم. قالت: حتى كان رسول اللَّه ﷺ يُخَيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله. حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول اللَّه ﷺ. ثم دعا. ثم دعا. ثم قال: «يا عائشة! أشعرت أن اللَّه أفتاني فيما استفتيته فيه. جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي. فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة. قال: وجب طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان».

قالت: فأتاها رسول اللَّه ﷺ في أُناس من أصحابه. ثم قال: «يا عائشة! واللَّه! لكأن ماءها نقاعة الحناء. ولكأن نخلها رؤوس الشياطين».

قالت فقلت: يا رسول اللَّه! أفلا أحرقته؟ قال: «لا. أما أنا فقد عافاني اللَّه. وكرهت أن أثير على الناس شراً. فأمرت بها فدفنت»[(١)].

قال الإمام النووي: «قال الإمام المازري رحمه اللَّه: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ونفى حقيقته. وأضاف ما يقع منه إلا خيالات باطلة لا حقائق لها. وقد ذكره اللَّه تعالى في كتابه. وذكر أنه مما يُتعلَّم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له».

وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت. وهذا كله يبطل ما قالوه. فإحالة كونه من الحقائق محال. ولا يستنكر في العقل أن اللَّه سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين القوى، على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر.

---

(١) رواه مسلم [٢١٨٩/ ٤٣] عن عائشة رضي اللَّه تعالى عنها.

قال: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر. فزعم أنه يحط من منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالمشرِّع. وهذا الذي ادعاه بعض المبتدعة باطل؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ. والمعجزة شاهدة بذلك. وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل.

قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبنية على السحر وهو إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده.

ويكون معنى قوله في الحديث: «حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن». ويروى «يخيل إليه» أن يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن. فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور[1].

وقال الحافظ في الفتح: «وأما ما يتعلق ببعض الأمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها؛ فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض. فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين» قال: «وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث: أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن. وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام؛ فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة».

قلت ـ ابن حجر ـ: وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» وفي رواية الحميدي: «أنه يأتي أهله ولا يأتيهن»، قال الداودي: «يُرى» بضم أوله. أي يظن.

وقال ابن التين ضبطت: «يَرى» بفتح أوله.

قلت ـ ابن حجر ـ: وهو من الرأي لا من الرؤية فيرجع إلى معنى الظن.

وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، أن يجزم بفعله ذلك. وإنما يكون من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت؛ فلا يبقى على هذا للملحد حجة.

ويؤيد جميع ما تقدم: أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً؛ فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلب: صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده. فقد

---

(١) ذكره النووي في شرح صحيح مسلم [٤٣١].

مضى في الصحيح: «أن شيطاناً أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه اللّه منه»[1] فكذلك السحر ما ناله من ضرره؛ ما يدخل نقصاً على ما يتعلق بالتبليغ بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام أو عجز عن بعض الفعل أو حدوث تخييل لا يستمر بل يزول. ويبطل اللّه كيد الشياطين.

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: «فأما أنا فقد شفاني اللّه».

يؤيده: ما جاء في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل: «فكان يدور ولا يدري ما وجعه» وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد «مرض النبي ﷺ وأُخذ عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان» الحديث. وقال ابن الأنباري: الطب من الأضداد يقال لعلاج الداء طب، والسحر من الداء، يقال له: طب.

وأخرج أبو عبيد من مرسل عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «احتجم النبي ﷺ على رأسه بقرن حين طب» قال أبو عبيد: يعني سحر.

قال ابن القيم: بنى النبي ﷺ الأمر أولاً على أنه مرض، وأنه عن مادة مالت إلى الدماغ وغلبت على البطن المقدم منه فغيرت مزاجه، فرأى استعمال الحجامة لذلك مناسباً، فلما أوحي إليه أنه سحر عدل إلى العلاج المناسب له وهو استخراجه، قال: ويحتمل أن مادة السحر انتهت إلى إحدى قوى الرأس حتى صار يخيل إليه ما ذكر؛ فإن السحر قد يكون من تأثير الأرواح الخبيثة، وقد يكون من انفعال الطبيعة وهو أشد السحر، واستعمال الحجم لهذا الثاني نافع لأنه إذا هيج الأخلاط وظهر أثره في عضو كان استفراغ المادة الخبيثة نافعاً في ذلك.

وقال القرطبي: إنما قيل للسحر طب لأن أصل الطب الحذق بالشيء والتفطن له فلما كان كل من عالج المرض والسحر إنما يتأتى عن فطنة وحذق؛ أطلق على كل منهما هذا الاسم.

---

(١) روى البخاري [٤٤٩] ومسلم [٣٩/٥٤١] عن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن عفريتاً من الجن جعل يفتك عليّ البارحة ليقطع عليّ الصلاة. وإن اللّه أمكنني منه فذعته. فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد. حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم، ثم ذكرت قول أخي سليمان: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيٓ﴾. فرده اللّه خاسئاً».

الرُّقَى بِالْقُرْآنِ وَالْمُعَوِّذَاتِ

قال الحافظ في الفتح: رقيت فلاناً بكسر القاف أرقيه. واسترقى طلب الرقية والجمع بغير همز وهو بمعنى التعويذ بالذال المعجمة.

وقوله: «بالقرآن والمعوذات» بالمعوذات سورة الفلق والناس والإخلاص.

أو المراد الفلق والناس وكل ما ورد من التعويذ في القرآن كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] وغير ذلك، والأولى أوْلى.

وقد أخرج الترمذي وحسّنه، والنسائي من حديث أبي سعيد: «كان رسول اللَّه ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما»(١).

وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل يدل على الأولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وإنما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام اللَّه تعالى، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات اللَّه تعالى.

واختلفوا في كونها شرطاً. والراجح: أنه لا بدّ من اعتبار الشروط المذكورة، ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال: «كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول اللَّه كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا عليّ رقاكم. لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»(٢).

وله من حديث جابر: نهى رسول اللَّه ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن

---

(١) رواه الترمذي [٢٠٥٨] وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم [٢٢٠٠/ ٦٤].

حزم فقالوا: يا رسول اللَّه إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، قال: فعرضوا عليه فقال: «ما أرى بأساً، من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه»[١].

وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أن ما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك؛ فإنه يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطاً، والشرط الآخر لا بدّ منه.

وقال قوم: لا تجوز الرقية إلا من العين واللدغة. لحديث عمران بن حصين: «لا رقية إلا من عين أو حمة»[٢].

وأجيب بأن معنى الحصر فيه: أنهما أصلاً كل ما يحتاج إلى الرقية فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل أو مس ونحو ذلك لاشتراكها في كونهما ينشآن عن أحوال شيطانية من إنسي أو جني. ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية.

وقد وقع عند أبي داود في حديث أنس مثل حديث عمران وزاد «أو دم يرقأ»[٣].

وفي مسلم من طريق يوسف بن عبد اللَّه بن الحارث عن أنس قال: «رخص رسول اللَّه ﷺ في الرقى من العين والحمة والنملة»[٤].

وفي حديث آخر: «والأذن».

ولأبي داود من حديث الشفاء بنت عبد اللَّه أن النبي ﷺ قال لها: «ألا تعلِّمين هذه ـ يعني حفصة ـ رقية النملة»[٥]؟

وقيل: المراد بالحصر معنى الأفضل أي لا رقية أنفع كما قيل: لا سيف إلا ذو الفقار[٦].

---

(١) رواه مسلم [٢١٩٩/٦].

(٢) رواه البخاري [٥٣٧٨].

(٣) رواه أبو داود [٣٨٨٩] وضعفه الألباني.

(٤) رواه مسلم [٢١٩٦/٥٨].

(٥) رواه أبو داود [٣٨٨٧] وصححه الألباني.

(٦) ذكره الحافظ في الفتح [المجلد العاشر ـ كتاب الطب ـ باب الرقى بالقرآن والمعوذات].

obeikandl.com

وقال قوم: المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء، والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه. ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما. وفيه نظر. وكأنه مأخوذ من الخبر الذي قرنت فيه التمائم بالرقى. فأخرج أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم من طريق ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود عنها عن ابن مسعود رفعه «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[(١)].

والتمائم: جمع تميمة وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات، والتِوَلة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها. وهو ضرب من السحر. وإنما كان ذلك من الشرك؛ لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير اللَّه ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء اللَّه وكلامه. فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك، كحديث عائشة أنه ﷺ: «كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيد نفسه بتركها»[(٢)].

وحديث ابن عباس أنه ﷺ: «كان يعوذ الحسن والحسين بكلمات اللَّه التامة من كل شيطان وهامة»[(٣)]. وحديث خولة بنت حكيم مرفوعاً: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل»[(٤)] وعند أبي داود والنسائي بسند صحيح عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن رجل من أسلم: «جاء رجل فقال: لدغت الليلة فلم أنم فقال له النبي ﷺ: لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق؛ لم تضرك»[(٥)] والأحاديث في هذا المعنى موجودة لكن يحتمل أن يقال: إن الرقى أخص من التعوذ وإلا فالخلاف في الرقى مشهور. ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى اللَّه تعالى والإلتجاء إليه في كل ما وقع وما يتوقع.

وقال ابن التين: الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء اللَّه هو الطب الروحاني

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه [٦٠٩٠] وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) رواه البخاري [٥٤٠٣] وقال معمر ـ راوي الحديث عن الزهري ـ سألت الزهري كيف ينفث؟ قال: ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.

(٣) رواه البخاري [٣١٩١].

(٤) رواه مسلم [٢٧٠٨/ ٥٤].

(٥) رواه أبو داود [٣٨٩٨] وصححه الألباني.

إذا كان على لسان الأبرار من الخلق؛ حصل الشفاء بإذن اللّه تعالى، فلما عزّ هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزِّم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له. فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ذكر اللّه وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم، ويقال: إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم، فإذا عَزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللديغ إذا رقي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان، فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر اللّه وأسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئاً من الشرك، وعلى كراهة الرقى بغير كتاب اللّه؛ علماء الأمة.

وقال القرطبي: الرقى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى الشرك.

الثاني: ما كان بكلام اللّه أو بأسمائه فيجوز، فإن كان مأثوراً فيستحب.

الثالث: ما كان بأسماء غير اللّه من مَلَك أو صالح أو معظم من المخلوقات. كالعرش قال: فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الإلتجاء إلى اللّه والتبرك بأسمائه فيكون تركه أولى، إلا أن يتضمن تعظيم المرقيّ به فينبغي أن يجتنب كالحلف بغير اللّه تعالى.

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب اللّه وما يعرف من ذكر اللّه. قلت: أيرقى أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب اللّه وبذكر اللّه. اهـ.

وفي «الموطأ» أن أبا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة: أرقيها بكتاب اللّه.

وروى ابن وهب عن مالك كراهة الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال: لم يكن ذلك من أمر الناس في القديم.

وقال المازري: اختلف في استرقاء أهل الكتاب فأجازها قوم وكرهها مالك لئلا يكون مما بدّلوه.

وأجاب من أجاز بأن مثل هذا يبعد أن يقولوه، بأنه كالطب سواء لأن غير

الحاذق لا يحسن أن يقول، والحاذق يأنف أن يبدل؛ حرصاً على استمرار وصفه بالحذق لترويج صناعته.

والحق أنه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال.

وسئل ابن عبد السلام عن الحروف المقطعة. فمنع منها ما لا يعرف؛ لئلا يكون فيها كفر.

obeikandl.com

دفع السحر

لفضيلة الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي دعاء مشهور لإبطال السحر كان يقول فيه: اللَّهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر، ولكنك احتفظت لذاتك بإذن الضر، فأعوذ بما احتفظت به مما أقدرت عليه بحق قولك: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وأثناء كتابتنا لهذا الكتاب؛ ساق اللَّه إلينا أحد الأحباب بدعاء مأثور عن بعض الصالحين يقول فيه: اللَّهم إنك قد سلَّطْتَ علينا بذنوبنا عدواً بصيراً بعيوبنا، يرانا هو وقبيله ولا نراه، اللَّهم آيَسْتَهُ منّا كما آيَسْتَهُ من رحمتك، وقنِّطه منَّا كما قنَّطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك، إنك على كل شيء قدير. ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

وصَلِّ اللَّهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

obeikandl.com

النُّشْرة وعلاج السحر

عنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّه رضي اللَّه تعالى عنه قالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»(١).

قال في النهاية: «النُشرة» ـ بالضم ـ ضرب من الرقية والعلاج، يُعالَجُ به من كان يظنُ أن به مسا من الجن، وسميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يُكشف ويُزال.

وقال الحسن: النُشرة من السحر وقد نشّرت عنه تنشيراً. انتهى.

وفي فتح الودود: «لعله كان مشتملاً على أسماء الشياطين أو كان بلسان غير معلوم؛ فلذلك جاء أنه سحر. وسُمِّيَ نشرة لانتشار الداء وانكشاف البلاء به.

قوله ﷺ: «هو من عمل الشيطان»: أي من النوع الذي كان أهل الجاهلية يعالجون به ويعتقدون فيه، وأما ما كان من الآيات القرآنية والأسماء والصفات الربانية والدعوات المأثورة النبوية فلا بأس به».

وفي النهاية: ومنه الحديث: «فلعل طبا أصابه ثم نَشَره بـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]. أي: رقاه»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) رواه أبو داود [٣٨٦٨] وقال الألباني: صحيح.

(٢) مختار الصحاح: [ص: ٢٧٥] والنهاية: [٥/ ٥٤].

obeikandl.com

علاج السحر

قال العلامة ابن القيم رحمة اللَّه تعالى عليه: علاج السحر قسمان: **القسم الأول**: ما يُتقى به السحر قبل وقوعه، ومن ذلك:

١ ـ القيام بجميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، والتوبة من جميع السيئات.

٢ ـ الإكثار من قراءة القرآن الكريم بحيث يجعل له ورداً منه كل يوم.

٣ ـ التحصن بالدعوات والتعوذات والأذكار المشروعة، ومن ذلك: «بسم اللَّه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» ثلاث مرات في الصباح والمساء[(١)].

وقراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين، ثلاث مرات في الصباح والمساء[(٢)].

ويقول: «لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» مائة مرة كل يوم[(٣)].

والمحافظة على أذكار الصباح والمساء، والأذكار أدبار الصلوات، وأذكار النوم، والاستيقاظ منه، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وأذكار الركوب، وأذكار دخول المسجد والخروج منه، ودعاء دخول الخلاء والخروج منه، ودعاء من رأى مبتلى، وغير ذلك. حسب الأحوال والمناسبات، والأماكن والأوقات، ولا شك أن المحافظة على ذلك من الأسباب التي تمنع الإصابة بالسحر، والعين، والجان بإذن اللَّه تعالى، وهي أيضاً من أعظم العلاجات بعد الإصابة بهذه الآفات وغيرها[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود [٥٠٨٨] عن عثمان بن عفان رضي اللَّه تعالى عنه، وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه أبو داود [٥٠٨٢] عن معاذ بن عبد اللَّه بن خبيب عن أبيه رضي اللَّه تعالى عنه. وقال الألباني: حسن.

(٣) رواه البخاري [٨٠٨]، ومسلم [٥٩٣/ ١٣٧] عن المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه.

(٤) انظر زاد المعاد [٤/ ١٢٦].

٤ ـ أكل سبع تمرات على الريق صباحاً إذا أمكن؛ لقول ﷺ: «من اصطبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»[(١)] والأكمل أن يكون من تمر المدينة مما بين الحرتين، لقوله ﷺ: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح . . .»[(٢)] الحديث.

القسم الثاني: علاج السحر بعد وقوعه وهو أنواع:

النوع الأول: استخراجه وإبطاله إذا علم مكانه بالطرق المباحة شرعاً، وهذا من أبلغ ما يعالج به المسحور.

النوع الثاني: الرقية الشرعية، ومنها:

١ ـ يدق سبع ورقات من سدر أخضر بين حجرين أو نحوهما ثم يصب عليها ما يكفيه للغسل من الماء ويقرأ فيها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ • فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ • فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ • وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ • قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ • رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧ ـ ١٢٢].

وقول تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ • فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ • فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٧٩ ـ ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ • قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ • فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ • قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ • وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ • فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٦٥ ـ ٧٠].

---

(١) رواه البخاري [٥٤٤٣] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم [٢٠٤٧/ ١٥٤] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ ـ ٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٦].

وبعد قراءة ما ذُكر في الماء يشرب منه ثلاث مرات ويغتسل بالباقي وبذلك يزول الداء بإذن اللَّه تعالى، وإن دعت الحاجة إلى إعادة ذلك مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول المرض، وقد جُرِّب كثيراً فنفع اللَّه به وهو جيد لمن حُبس عن زوجته[(١)].

٢ ـ تقرأ: سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، والمعوذتين ثلاث مرات أو أكثر مع النفث، ومسح الوجه باليد اليمنى[(٢)].

٣ ـ التعوذات والرقى والدعوات الجامعة:

١ ـ أسأل اللَّه العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك. «سبع مرات»[(٣)].

---

(١) انظر فتاوى الشيخ ابن باز [٣/ ٢٧٩]، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد [ص: ٣٤٦]، والصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار للأستاذ وحيد عبد السلام بالي [١٠٩ ـ ١١٧].

(٢) رواه البخاري [٥٤١٦] ومسلم [٢١٩٢/ ٥٠، ٢٢٠١/ ٦٥] عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه تعالى عنه.

(٣) رواه أبو داود [٣١٠٦] عن ابن عباس رضي اللَّه تعالى عنهما. وقال الألباني: صحيح.

٢ ـ يضع المريض يده على الذي يؤلمه من جسده ويقول: «بسم اللَّه» ثلاث مرات، ويقول: «أعوذ باللَّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» «سبع مرات»[١].

٣ ـ أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً[٢].

٤ ـ أعوذ بكلمات اللَّه التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة[٣].

٥ ـ أعوذ بكلمات اللَّه التامات، من شر ما خلق[٤].

٦ ـ أعوذ بكلمات اللَّه التامات، من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون[٥].

٧ ـ أعوذ بكلمات اللَّه التامات، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق، وبرأ، وذرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن[٦].

٨ ـ اللَّهم رب السماوات ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللَّهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء[٧].

٩ ـ باسم اللَّه أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس، أو عين حاسد. اللَّه يشفيك، باسم اللَّه أرقيك[٨].

---

(١) رواه مسلم [٢٢٠٢/ ٦٧] عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي اللَّه تعالى عنه.

(٢) رواه البخاري [٥٤١٢]، ومسلم [٢١٩١/ ٤٦] واللفظ له. عن عائشة رضي اللَّه تعالى عنها.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري [٣١٩١] عن ابن عباس رضي اللَّه تعالى عنهما.

(٤) رواه مسلم [٢٧٠٨/ ٥٤] عن خولة بنت حكيم رضي اللَّه تعالى عنها.

(٥) رواه الترمذي [٣٥٢٨] وقال الألباني: حسن.

(٦) رواه مالك في الموطأ [٢/ ٩٥٠/ ١٧٠٥] والطبراني في الكبير [٤/ ١١٥] عن خالد بن الوليد رضي اللَّه تعالى عنه.

(٧) رواه مسلم [٢٧١٣/ ٦١] عن جرير رضي اللَّه تعالى عنه.

(٨) رواه مسلم [٢١٨٦/ ٤٠] عن أبي سعيد رضي اللَّه تعالى عنه.

obeikandl.com

١٠ ـ باسم اللَّه يبريك ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين[(١)].

١١ ـ باسم اللَّه أرقيك من كل شيء يؤذيك، من حسد حاسد، ومن كل ذي عين، اللَّه يشفيك[(٢)].

وهذه التعوذات، والدعوات، والرقى، يعالج بها من السحر، والعين، ومس الجان، وجميع الأمراض؛ فإنها رقى جامعة نافعة بإذن اللَّه تعالى.

النوع الثالث: الاستفراغ بالحجامة في المحل أو العضو الذي ظهر أثر السحر عليه. إن أمكن ذلك، وإن لم يمكن كفى ما سبق ذكره من العلاج بحمد اللَّه تعالى.

النوع الرابع: الأدوية الطبيعية، فهناك أدوية طبيعية نافعة دل عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة إذا أخذها الإنسان بيقين وصدق وتوجه مع الاعتقاد أن النفع من عند اللَّه؛ نفع اللَّه بها إن شاء اللَّه تعالى، كما أن هناك أدوية مركبة من أعشاب ونحوها، وهي مبنية على التجربة؛ فلا مانع من الاستفادة منها شرعاً ما لم تكن حراماً.

ومن العلاجات الطبيعية النافعة بإذن اللَّه تعالى: العسل، والحبة السوداء، وماء زمزم، وماء السماء؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: ٩] وزيت الزيتون، لقوله ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة»[(٣)].

ومن الأدوية الطبيعية: الاغتسال والتنظف والتطيب[(٤)].

هذا.

وقد حوى هذا الكتاب بين دفَّتَيه بعض خواطر فضيلة الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي عن: السحر وكذلك ردّ العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان على العلامة فخر الدين الرازي في شرحه لآية سورة البقرة: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ

---

(١) رواه مسلم [٢١٨٥/ ٣٩] عن عائشة رضي اللَّه تعالى عنها.

(٢) رواه ابن ماجه [٣٥٢٣]. وقال الألباني: صحيح.

(٣) رواه الترمذي [١٨١٥] وقال الألباني: صحيح.

(٤) زاد المعاد [٤/ ١٢٥].

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قمنا بإعداد مادته، والتعليق عليه، وشرحه، وتخريج أحاديثه، وإضافة بعض ما يلزم من حواشي أو ملاحق؛ ليعم النفع به.

نسأل اللَّه تعالى أن ينفع به قارئه وكاتبه وناشره، ويجزي عنا فضيلة الشيخ الإمام خير الجزاء، وينور له في قبره، ويجعله روضة من رياض الجنة. إنه سبحانه سميع قريب مجيب. وصَلِّ اللَّهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه. والحمد للَّه رب العالمين.

عبد الله حجاج

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال فضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد أذن الخير التي استقبلت آخر إرسال السماء لهدى الأرض، ولسان الصدق الذي بلغ عن الحق مراده من الخلق، وعلى آله وصحبه، دعاة الحق، وسادة الخلق. وبعد.

السحر مأخوذ من مادة «السين» و«الحاء» و«الراء» والسَّحَر هو وقت آخر الليل وأول شقشقة النهار، وفيه من ظلمة الليل، وإشعاعات النهار[١].

---

(١) قال شارح كتاب التوحيد؛ السحر في اللغة: عبارة عما خفي ولطف سببه، ولهذا جاء في الحديث: «إن من البيان لسحراً»[١] وسمي السحور سحوراً؛ لأنه يقع خفياً آخر الليل، وقال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٦٦] أي: أخفوا عنهم علمهم، ولما كان السحر من أنواع الشرك؛ إذ لا يأتي السحر بدونه، ولهذا جاء في الحديث «ومن سحر فقد أشرك»[٢] أدخله «المصنف» في كتاب «التوحيد» ليبين ذلك تحذيراً منه، كما ذكر غيره من أنواع الشرك.

قال أبو محمد المقدسي في «الكافي»: السحر: عزائم ورقى وعقد، يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه، قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال سبحانه: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ [الفلق: ١ ـ ٤] يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه.

وروت عائشة أن النبي ﷺ سُحِرَ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم: «أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال: =

---

(١) رواه البخاري [٥١٤٦]، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، ومسلم [٨٦٩/ ٤٧] عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه.

(٢) رواه النسائي [٧/ ١١٢/ ٤٠٧٩] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والمزي في تهذيب الكمال [١٤/ ١٦٩]، سنده ضعيف منقطع، قال الهبي في الميزان [٣/ ٩٢]: «لا يصح للين عَباد وانقطاعه» وقال الألباني: ضعيف.

والسحر هو شيء يُخَيَّلُ إليك أنه واقع وهو ليس بواقع. وهو يأتي بين شيئين: ظاهره واقع، وباطنه غير واقع، ونحن نعلم أن السَّحَرةَ عندما التقوا بموسى عليه السلام في الاجتماع العظيم الذي دعا إليه فرعون سحروا أعين الناس حتى خُيِّل إلى الناس أن ما ألقاه السحرةُ هو أشياءٌ حقيقية.

إذن.. لم يكن التغير في الأشياء التي ألقاها السحرةُ، ولكنَّ التغير كان في أعين الناس، وهذا أمر مختلف عن عصا موسى التي أرادها اللَّه أن تكون أفعى فصارت أفعى بقدرة الحق سبحانه، والمسحور هو من يَحْدُثُ له التغيُّر.

= ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن أعصم في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر في بئر ذروان»[1] وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه، بل منه ما هو تخييل، ومنه ما له حقيقة، كما يفهم مما تقدم.

تيسير العزيز الحميد [ص: ٣٨٣]

(١) رواه البخاري [٥٧٦٣]، ومسلم [٢١٨٩/ ٤٣] عن عائشة رضي اللَّه تعالى عنها.

opeikandl.com

نهاية من يشتغل بالسحّر

لقد خلق الحق سبحانه الجن وجعل لهم قدرة على التشكل؛ فالجني يستطيع أن يتشكل بأي شيء، وعندما يتشكلُ في صورة ما، فإن الصورة التي تشكل عليها تحكُمُه، فإن تشكلَ في صورة إنسانٍ، أو صورة حيوان، فإنَّ هذه الصورة تحكمُه بمعنى: إذا تشكل الشيطانُ في شكل ما ورصده الإنسان، وأطلق عليه الرصاصَ فإنه يموتُ من فوره. وهذا هو السببُ في أن الجني يتشكلُ في لمحةٍ خاطفة يختفي بعدها؛ لأنهُ يخشى أن يرصده أحد على هذه الصورة فيقتله.

وفي الحديث أن رسول اللَّه ﷺ تمثل له الشيطان، فهمَّ أن يمسك به ويربطه بسارية المسجد، ليتفرَّجَ عليه صبيان المدينة، لولا أنه تذكر دعوة نبي اللَّه سليمان عليه السلام، إذ قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[1] [ص: ٣٥].

إذن.. ففي قدرة الإنسان أن يمسك بالشيطانِ لو تمثل ذلك الشيطان في شكل ما، لذلك فالشياطينُ لا تصبر على التمثل في أشكال غير حقيقتها؛ لأنها تخافُ أن يرصدها أحد فيقتلها، وذلك رحمة من اللَّه بنا، وإلا كانت مَردة الجن أفزعتنا.

---

(١) روى البخاري [٣٢٤١] واللفظ له، ومسلم [٥٤١/ ٣٩] عن أبي هريرة رضي اللَّه تعالى عنه عن النبي ﷺ إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة، ليقطع علي صلاتي، فأمكنني اللَّه منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فرددته خاسئاً.

روى مسلم [٥٤٢/ ٤٠] عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال: قام رسول اللَّه ﷺ فسمعناه يقول: أعوذ باللَّه منك. ثم قال: ألعنك بلعنة اللَّه ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً. فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول اللَّه قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال: إن عدو اللَّه إبليس جاء بشهاب من نار، ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ باللَّه منك «ثلاث مرات»، ثم قلت: ألعنك بلعنة اللَّه التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه واللَّه لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة.

والحقُّ يحفظ الكونَ بتكافؤِ الفرص، وتكافؤُ الفرص هو الذي يحفظُ أمنَ المجتمع، وتكافؤ الفرص هو الذي يجعلُ الإنسان أو الشيطان من الجن يلزم حده.

إن تكافؤَ الفرص ـ على سبيل المثال ـ هو الذي كان يجعلُ كُلّاً من روسيا وأمريكا في حالة توازن، فلا تعتدي اعتداءً مباشراً على الدول الأخرى، وهذا التكافؤ في الفرص هو الذي يجعل الحرب بينهما باردة.

أما الآن وبعد انهيار الشيوعية فإن الإنسانية كما نرى تشقى بأحادية القطب، والغطرسة الأمريكية، التي باتت تعيث في الأرض فساداً، غير عابئة بنداءات الدول الأخرى، ولا يردعها منظر الدم والأشلاء التي تخلفها ضرباتها للدول الأخرى وبخاصة دول المسلمين، سواء في العالم العربي، أو الإسلامي، أو حتى الأوروبي، وستظل هكذا إلى أن يأتي من يعيد هذا التكافؤ مرة أخرى، نسأل اللّه أن يكون على أيدي المسلمين بعد أن ينهضوا من كبوتهم ورقادهم الذي طال أمده.

ولنضرب لمبدأ تكافؤ الفرص مثلاً فنقول: لنفترض أن رجلاً من قرية ما ذهب إلى الجيش وتدرب على حمل البندقية بشكل متميز، وأنهى مدة الجندية، وحصل لنفسه على بندقية وراح يَفرضُ الإتاوات على الناس، ويجعل سادة البلدة تخدمه وهو جالس في مكانه. هذا الرجل وجوده وحده منفرداً بهذه الميزة هو الذي يجعله يتجبر ويجعل مبدأ تكافؤ الفرص غير موجود، لكن لنفترض أن رجلاً في الطرف الآخر من القرية نال نفس الفرصة، فهنا سيراجع الذي فرض الإتاوات موقفه، ويحسب حساب البندقية الأخرى. ساعتئذٍ يحدث تكافؤ الفرص.

إذن.. فالذي يجعل الأمن في العالم يختل هو عدم تكافؤ الفرص، واللّه يريد للإنسان تكافؤ الفرص حتى يحفظ أمن المجتمع وسلامته، ولكن اللّه يريد أيضاً أن يختبر الإنسان بالابتلاءات المختلفة، لذلك فلا تظنوا أن الشيطان بحكم قانون خلقه الذي هو من النار، والنار أخف من الطين الذي خلق منه الإنسان. لا تظنوا أنه قادر على التحكم فيكم؛ ذلك أن الحق سبحانه بقدرته قد يجعل من الإنسان عالماً بما يستطيع به قهر الجن، وقد يستخدم الإنسان ذلك في السيطرة على الجن، وهي أشياء وقدرات يعلمها الحق سبحانه وتعالى لخلقه، وعلّمها قديماً إن صحت الرواية لبعض ملائكته، والملائكة لأمر قَدَّرَهُ اللّه تعالى علموها للناس، ومع ذلك كان التحذير صريحاً من الملائكة لمن علموهم فقالوا لهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] لماذا يكون ذلك الأمر فتنة؟ لأن الإنسان إذا استخدم الجن يكون قد أخذ فرصة أكثر من نظيره الإنسان الآخر، الذي لم يحظ

بتلك الفرصة، وقد يطغى الإنسان بذلك، ومن يَطْغَ فهو ظالم، ومن يظلم يستحق العقاب.

إن الحق سبحانه قد يكشف لإنسان ما، ولحكمة ما بعضاً من الأسرار التي يسخر بها من فوقه مِن الجن، ولكن من تعلّم ذلك أو درسه في كتاب، فليحذر الفتنة؛ ولذلك فمن الأفضل للإنسان ألا يتعلم ذلك. لماذا؟ لو افترضنا مثلاً ـ وللّه المثل الأعلى ـ بأن طفلاً أخذ مسدس أبيه من غير علمه، ثم ذهب هذا الطفل بالمسدس إلى المدرسة أو النادي، وحاول إشهاره في وجه زملائه بغرض التخويف تارة، والعُجب بالنفس أخرى، ثم حدثت في أثناء ذلك مشادة بين هذا الطفل وغيره من نظرائه، هنا يكون هذا المسدس الذي في يد الطفل قد أخل بمبدأ تكافؤ الفرص.

إذن.. عدم تعلم هذا العلم هو نوع من استبقاء تكافؤ الفرص في الحياة.

إن الحق جل وعلا يريد أن يعطينا هنا قضيتين:

القضية الأولى: وهي أن الشيطان من الجن، وإن كان تصرفه أقوى من تصرف الإنس، فذلك بقدرة الحق الذي جعله على هذه الصورة من التكوين.

والقضية الآخرة: هي أن الحق جل وعلا يستطيع بقدرته أن يعطي الإنسان أشياء يسخر بها الجن؛ ولذلك تحذر الملائكة من تعلم هذا النوع من العلم، لأن ذلك الأمر فتنة، فلا داعي أن يكفر بها الإنسان؛ وإن كانت الفتنة في حد ذاتها ليست مذمومة، إنها اختبار، الناجح فيه يسعد بتوفيق اللّه له، والراسب فيه هو من لم يستفد بما وهبه اللّه له من إمكانات.

إن ذلك التحذير قدَّره اللّه تعالى حتى لا يختل مبدأ تكافؤ الفرص. وهناك من يرفض تعلم أساليب تسخير الجن حتى لا يفتنه ذلك في أمر دينه، وهناك من يقول سأتعلمه لأستعمله في الخير، وفي دروس الحياة وغيرها.

إن الذي يتعلم هذه الأشياء لا يستطيع أن ينفع بها نفسه، إن رزقه يأتيه ممن لا يعلمهم، ومعيشته تكون على حساب من لا يعرفهم، وحياة من يتعلم هذا الأمر غير مستقرة وأموره مختلة، وصدق اللّه العظيم القائل: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

إن الرجال الذين يستجيرون بالجن ويستعينون بهم تنقلب حياتهم إلى نكد وكرب، مع أن الذي يستجير بالجن كان يطمع لنفسه في الاستقرار، فإذا به غارق في عدم الراحة.

إن الحق سبحانه يستطيع أن يعطِيَ الأدنى في القوة بحكم خلقه ـ وهو الإنسانُ ـ القدرةَ التي يسخّر بها الأعلى بحكم خلقه ـ وهو الجن ـ وذلك حتى لا تكون عنصريّة التكوين هي الحاكمة، وإنني أنصح كل إنسان أن يظل في قانون جنسه، حتى لا يقع فيما حرمه اللّه تعالى عليه، وتتبدل أحواله من الحسن إلى السيئ، ومن السيئ إلى ما هو أسوأ منه، وليظل تكافؤ الفرص عاصماً له من الطغيان، ولا يطلب لنفسه سلاحاً قوياً ويدَّعي أنه سوف يستعمله في الخير.

إننا لم نجد أحداً قد اشتغل بمثل هذا الأمر إلا ومات على فقر.

وهناك نصَّابون يدَّعون ذلك العلم، وليس لهم منه شيء، لكنهم يُعانون أيضاً من ضنك الحياة.

ولذلك يقالُ: إن كلَّ من يتعلمه يصبح كافراً.. لماذا؟ لأن الإنسان لحظة التحمُّس للتعلم قد يكون مؤمناً، لكن لحظة الأداء فغالباً ما تغره القوة فيستخدمها فيما يضر نفسه ومَنْ حوله ويزعم معرفته بالغيب، وهذا كفر بالخالق سبحانه، وإخلال بقانون تكافُؤ الفرص.

وقد يتعلمه أحد بدعوى الخير ولكن لا يعلم أي شرور قد تصيب الآخرين من جراء ذلك، إن الإنسانَ لا يضمنُ نفسه، لذلك لا نجدُ واحداً فمن اشتغلوا بالسحر إلا وعاش في أيأس الأحوال، ويحكم عليه الحق بأن يظل أضعف من غيره في: رزقه ومأكله ومشربه. لماذا؟ لأن اللّه أراد ذلك الأمر ليوضح لنا أن أحداً لا يستطيع أن يحتال على قدر اللّه، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

تعلُّم السحر فتنة

قد يقول قائل: أنا سأتعلم السحر ولن أستعمِلَه إلا في الخير!! ونحن نقول لمثل هذا الإنسان: أنت تقول ذلك وقت هدوئك وشغفك بمثل هذا النوع من التعلم، لكنك لن تضمن نفسك إذا امتلكت هذه القدرة ألَّا تستخدمها في الطغيان.

إذن.. فلا داعي مطلقاً لتعلم السحر، ولنا أن نعرف أن تحذير الملكين لمن يتعلمُ السحر إنما هو أمر أوجبتْه إرادة الحق سبحانه وتعالى؛ ليعرفَ الإنسانُ أنه سوف يتعرضُ لامتحانٍ قاسٍ، يختلُّ به تكافؤ الفرص في المجتمع الإنساني، لذلك على الإنسان أن يعرف أن هذا أمر شاق قد يعرضه للكفر. يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد يقول قائل: وما ذنب المرء وزوجه أن يتعرضا لتلك التجربة؟ نقول: وما ذنب الضعيف حين يطغى عليه إنسان قوي فيقتله؟ إن ذلك سبب يفتك وذاك سبب يفتك، هذا سبب غيبي غير معروف وحسابه عند الحق، وذاك سبب مادي قد يكون معروفاً وله حسابه أيضاً عند الحق سبحانه وتعالى.

ثم ألا يوجد في الحياة من البشر الذين لا يراعون منهج اللَّه من يشي بكلمة هنا أو بكلمة هناك فتفسد العلاقات بين الزوجين؟ إن استخدام أيّ أمرٍ سواءٌ كان سحراً أو سلاحاً أو كلمة بالمخالفة لمنهج اللَّه لا بدّ أن يضر بالإنسانِ، وكما يوجدُ الضررُ في الخروج عن منهج اللَّه في الأمر المادي، فالضرر أيضاً يوجد في الخروج عن منهج اللَّه في الأمر الغيبي.

إن مطلوب الإيمان هو أن يُسخِّر الإنسانُ كل ما يعرف من علم لخدمة دعوته ودينه، وهكذا يترقى مطلوب الإيمان عن مطلوب العلم المحدد، إن مطلوب

الإيمان أن نُؤمنَ باللَّه وهو غيبٌ، وأن نحاولَ ترشيد كل ما منحهُ اللَّهُ لنا من علم لخدمة منهج اللَّه، وإذا كانت الفتنة قد أوجدها اللَّه اختباراً لمدى التزام الإنسان بدينه، ومدى ارتباطه بمنهج اللَّه، فليعلم أن هذه الفتنة قد تأخذ شكلاً ماديًا حسيًا وقد تأخذ شكلاً غيبيًا.

obeikandl.com

كيف نتعلم السحر؟!

قد يسأل سائل فيقول: وكيف نتعلم السحر؟ فإننا نقول له: إن أمور الغيب ليست علماً ماديًا حتى نجيب على مثل هذا السؤال؟ إن الأمور في العلوم المادية يمكن أن نسأل فيها بكلمة «كيف»؟.

نسأل مثلاً مم يتكون الماء؟ وما كيفية هذا التكوين؟ وتكون الإجابة هي تجربة معملية تستدعي مزج ذرتين من الأيدروجين وذرة من الأكسجين فيتكون الماء.

ولا أحد يستطيع أن يسأل في العلم التجريبي بكلمة «لِمَ؟».

أما في أمور الغيب فلا أحد يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال. دليل ذلك عندما: سأل الخليل إبراهيم عليه السلام ربه قائلاً: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أجاب الحق سبحانه خليله بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ...﴾؟ [البقرة: ٢٦٠] فيجيب خليل الرحمن: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] وبعد تسليم إبراهيم الخليل عليه السلام بالإيمان بالله، وأنه الخالق، والمحيي والمميت يأمره الحق سبحانه بإجراء تجربة تثبت طلاقة قدرته ليطمئن قلب الخليل عليه السلام، فيقول سبحانه وتعالى لإبراهيم: ﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] إنها تجربة لا يمكن أن يسأل فيها إنسان كيف حدث ذلك الأمر؟

وكذلك أمر السحر.. إنه أمر غيبي جعله الله تعالى فتنة لعباده، الساحر والمسحور على السواء:

للساحر عندما يتجاوز قدره ويستعين بأشياء هي محرمة عليه لإلحاق الأذى بخلق الله وبغرض تحقيق ربح دنيوي سريع، فلا يبارك الله فيه، ويذهب كما جاء ولا يبقى لهذا المخالف لشرع الله إلا الخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

وللمسحور فتنة وابتلاء من الله تعالى، فيصبر على قدر الله وما لحقه من

أذى ويلجأ إلى اللَّه تعالى ويتوكل عليه ويدعوه دعاء المضطر الذي لا حول له ولا قوة إلا بربه، ويلح عليه في الدعاء ولا يفتر عن ذلك، ويقول: ربي لم يستجب لي، فيتحسر ويترك الدعاء[١]، ساعتئذٍ يظل فريسة لما هو فيه من أذى وضُر، ولكن عليه أن يعلم أن تأخر الإجابة قد يكون لحكمة في صالحه هو لا يعرفها، فكلما تأخرت الإجابة اجتهد في الدعاء أكثر وأكثر حتى ينجيه اللَّه تعالى مما هو فيه، وهل للمؤمن من وليّ أو ناصر أو معين سوى اللَّه؟ وهل يكشف الضر إلا اللَّه؟

ولما كان للجن إمكانية التشكل في صور أخرى غير صورته كإنسان أو حيوان، فما المانع أن يتشكل شيطانٌ من الجن في شكل قبيح على وجه امرأة حتى إذا نظر إليها زوجها نفر منها، ولا يطيق النظر إليها؟ وما المانع أن يتشكل شيطان من الجن في شكل قبيح على وجه رجل فلا تطيق زوجته النظر إليه؟!

ولا عاصم من هذا وغيره إلا باللجوء إلى كنف اللَّه، والاستعاذة به سبحانه من الشيطان، والمداومة على إقامة الصلاة، وقراءة القرآن، وذكر اللَّه، فإن البيت الذي لا يذكر اللَّه فيه، ولا يقرأ فيه القرآن؛ هو بيت خرب، تسكنه الشياطين[٢]، تغدو فيه وتروح، فَحصِّنوا بيوتكم من الشياطين بذكر اللَّه وإقامة الصلاة وأداء كل ما افترضه اللَّه تعالى عليكم، عندئذٍ يحفظكم اللَّه؛ لأنكم حفظتم شرعه ومنهجه، وفي الحديث: «احفظ اللَّه يحفظك»[٣].

---

(١) روى البخاري [٦٣٤٠] ومسلم [٢٧٣٥/ ٩٠] عن أبي هريرة رضي اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلا أو فلم يستجب لي».

(٢) روى الهيثمي في مجمع الزوائد [٧/ ١٦٧] عن ابن مسعود قال: «إن هذا القرآن مأدبة اللَّه فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل فإن أصغر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب اللَّه شيء، وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب اللَّه شيء كخراب البيت الذي لا عامر له، وإن الشيطان يخرج من البيت يسمع فيه سورة البقرة» وقال: رواه الطبراني ورجال هذا الطريق رجال الصحيح.

(٣) روى الترمذي [٢٥١٦] عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: كنت خلف رسول اللَّه ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام أني أُعلمُكَ كلمات، احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل اللَّه، وإذا استعنت فاستعن باللَّه. واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا على=

= أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجفت الصحف»[1] وقال الألباني: صحيح.

(١) قال السندي: قوله: «احفظ الله»، أي: أمره بامتثال الأوامر واجتناب الزواجر، «يحفظك»: بالجَزْم على أنه جواب الأمر أي: يحرسك من مكاره الدنيا ومشاق العُقبى. «تجاهك» قال: بضم التاء، أي: عندك بالنصر والعون، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ وإنما يحصل البلاءُ والمصائب للعبد بسبب تضييع أوامر الله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ كذا ذكره النووي في «شرح الأربعين» له [ص ٥١]، ويمكن أن يُحمل الحديث على معنى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].
«على أن ينفعوك» قال: أي: ظاهراً ونسبياً، لا حقيقة وإيجاداً، فإنه لا يمكن منهم لا بالمكتوب ولا بغيره، «قد كتبه الله لك»: أي: على أيديهم أو بواسطتهم، «جَفَّت»: بتشديد الفاء على بناء الفاعل، والمراد: الفراغ من أمر التقدير، وأن الأمر لا يزيد ولا ينقص، نعم يمحو الله ما يشاء ويثبت، فالالتجاء إليه لا إلى غيره.

obeikandl.com

العاصم من السحر

إن السحر أمر يتعلمه الإنسانُ بالمخالفة لمنهج اللّه، رغبة من ذلك الإنسان في الخروج عن مبدأ تكافؤ الفرص الممنوح لكل البشر، لذلك فالملكان ينصحان الإنسان الذي يرغب في تعلم مثل ذلك الأمر: أن السحر فتنة. ويحذرانه من الكفر، وكأن التحذير يتضمنُ أن الإنسانَ الذي سوف يتعلمُ ذلك الأمر لن يقدر على نفسه، وكأن التحذير يوضحُ أن السحرَ لن يعطيَ من يتعلمُهُ شيئاً مفيداً، وقلتُ: إننا إذا نظرنا إلى الذين يستخدمون السحر فلسوف نجد هيئة كل منهم غير حسنة، ورزق كل منهم وإن كان في الظاهر كثيراً، إلا أنه في الحقيقة شحيح لا يبارك اللّه فيه، وأن أرزاق هؤلاء السحرة تأتي ممن لا يعرفون السحر. ولم نر ولم نسمع أن أحداً من السحرة سخَّر ما يعرفه من سحرٍ لمنفعته هو. وهذا حالهم شاهد عليهم. ونعوذ باللّه من الخذلان.

ولقد كانت البشرية وما زالت تصاب بأمراض فتاكة لا يعرف أحد أسماءها ولا أسبابها إلى أن توصل العلم إلى المجهر فوجدوا علاجاً لبعضها.

وكذلك لم يبق من السحر إلا الذي تعلمتْهُ الشياطينُ عن طريق الملكَيْن ببابل هاروت وماروت؛ والملكانِ اللذان يعلّمانِه يؤكدان أن كل من يتعلمه يذهب إلى الكفر، وأن اللّه قد أبقى هذا الجزء من السحر فتنة في الأرض، والحق يحذر المؤمن من الوقوع فريسة في أيدي هؤلاء السحرة والمشعوذين، ويخبره بأنه سبحانه احتفظ بذاته العليا بحق الضر فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] لذلك فالخالق علمنا أن نستعيذ من هؤلاء بطلاقة قدرة اللّه سبحانه وتعالى، كأن نقول: «اللّهم إنك أردت فعلمت، ولكنك احتفظت بالإذن في الضرر لك، فأسألك بما احتفظت به أن تكفيني شر ما علمت».

إن الإنسان المؤمن يلجأ هنا إلى الخالق لينجيه من ابتلاء الفتنة ولكي يعصمه من ضرر ما صنع السحرةُ؛ لأنه لا أمرَ يضرُّ الإنسانَ إلا بإذنِ اللّه، ولن يصيبنا إلا ما كتب اللّه تعالى لنا.

وعلى الإنسان أن يداوم على قراءة قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

ٱلْفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ* وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ* وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ ـ ٥] ويتبع ذلك بقراءة قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ* مَلِكِ ٱلنَّاسِ* إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ* مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ* ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ* مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٦].

إذن.. لو لجأ الإنسان الذي يعاني ضرر السحر وفهم أن ميزانه قد اختل ونظرته للأمور قد اختلت فما عليه إلا أن يلجأ إلى اللّه بيقينٍ صادقٍ ويسأله أن يرفع عنه شر ما أصابه، وسؤال اللّه باليقين الصادق يرد كيد الساحر في نحره.

والسحر لا يزول أثره عن الذين لا يواجهون مثل هذا الأمر بيقين الإيمان؛ لذلك تجدهم يذهبون من ساحر إلى آخر، وبعضهم يلجأ إلى الكفار والمشركين؛ ليفكوا لهم ـ بزعمهم ـ طلاسم السحر! برغم أن الحق تبارك وتعالى أوْجد لنا في الدعاء باليقين الصادق ما ينجّينا من كرب تلك الأمور.

صحيح أن العقل قد يقفُ متحيراً أمام تلك الأمور، وهذه فرصة ليراجع فيها المؤمن إيمانه، ويصحح ما قد شابه، ويجتهد في عبادته، ويصدق في التوجه إلى اللّه، وقد تكون تلك هي الحكمة من كل ذلك.

openkandil.com

الإيمان يبطل الساحر

إن الإنسان بإيمانه وعمله في كل المجالات، تتفتح أمامه آفاق الاكتشافات، فإذا قابل الإنسان سحراً واستعاذ باللَّه بيقينٍ إيمانيٍّ صادقٍ، فإن كيد السّحر يرتد في نحره، لكن الذي يطيل أمد مفعول السحر هو: أن السحرة يفتنون الناس بعيداً عن ربهم، برغم أن الواحد منهم لو علم قول الحق: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] لسقط مفعول السحر من النفس بإرادة الحق.

إن المؤمن الحق هو الذي يعرف أن كل أمر يمر به هو اختبار وابتلاء من اللَّه تعالى، فإن استقبله بنية المؤمن الصافية وحمد اللَّه تعالى، فإن اللَّه يزيل عنه أدران تلك المتاعب ويكتب له الثواب، أما أن يجزع الإنسان ولا يصبر لقدر اللَّه ويقنط، ويهرول من سحَّار إلى سحَّار، ومن مدجِّل إلى مدجِّل، ومن مُشَعْوِذٍ إلى مُشعوذ، فذلك إطالة لأمد السحر.

وقد يحاول البعض استخدام السحر في كشف غيب الآخرين الذي حدث في الماضي، ولذلك أقول: على الإنسان أن يتأدب فلا يحاول كشف غيب أحد، وإذا افترضنا جدلاً أن إنساناً علم غيباً عن أحد؛ فعليه أن يستره، ومن نعم اللَّه على الخلق أنه ستر غيب كل إنسان عن الآخر، فلماذا يحاول البعض التنقيب عن غيب الآخرين؟ فسبحان من ستر غيبه عن خلقه.

إذن.. فالمؤمن الحق هو من يتقبل اختبارات الحق بيقين الإيمان، وقوة الثقة باللَّه، فيرد اللَّه عنه كيد الكائدين، سواء كان هذا الكيد مرئياً أو غير مرئي، أو يعوضه اللَّه عن ذلك بالثواب العظيم.

الوقاية من السحر

الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ما هي الفتنة في ذلك؟ الفتنة في ذلك: هي أن الإنسان الذي يتعلم هذا العلم يأخذ بذلك فرصة ليست موجودة للغير، وعندما توجد عند الإنسان فرصة ليست هي موجودة للغير، خاصة إذا كانت هذه الفرصة تستخدم في الغالب في ضرر الناس، حينئذٍ لا يضمن الإنسان ألا يستخدمها في الضرر.

هي إذن فرصة قد تقود إلى النار، لذلك جاء في القرآن الكريم على لسان الملكين: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

إذن.. الحق سبحانه وتعالى من طلاقة قدرته يعطي للجنس الضعيف بحكم قانون تكوينه كالإنس مثلاً شيئاً يستطيع أن يسخر به الأقوى بحكم قانون تكوينه كالجن، والجن يعلمون هذه المسألة، ولذلك كل الذين يتعاطون مثل هذه المسائل يعرفون أن الجن لا تأتي في رتابة ولكنها تظهر في لمحة خاطفة؛ لماذا؟

لأن الجن لا يستطيع أن يظل على صورته التي تمثل فيها؛ لأنه لو تمثل في صورة إنسان مثلاً لحَكَمَتْهُ الصورة، وما دامت حَكَمَتْهُ الصورةُ فقد يستطيعُ إنسان أن يمسك به، أو يقتله، وقد يظن الجن أن الإنسان يعرف هذا الأمر في طبيعته، ولذلك يخشى على نفسه من ذلك، فيتمثل في صورة ما، ويظهر كلمحة، أو كومضة البرق ويختفي.

ولكن الإنسان العاقل يتنبه إلى أن هذه المسألة ليست في صالحه، لذلك يقول: أنا لا أريد هذه الفرصة لأني أكتفي في جنسي بقانوني الذي خلقني الله تعالى عليه، ولا توجد عندي مغريات تعطيني فرصة ليست عند أخي الإنسان، وربما وجود هذه الفرصة عندي يخلخل تكافؤ الفرص بيني وبين إخواني من البشر. ونحن نعرف أن غالبية الذين يملكون هذه الفرصة يمتهنونها، فتجده يصنع الشيء

ثم يصنع عكسه، بمعنى: أنه يقوم بعمل شيء مّا يجعل المرأة تكره زوجها، أو يجعل الزوج يكره امرأته، ثم هو نفسه الذي يقوم بحل هذا «العمَل المصنوع» ومن مصلحة الساحر أن تزداد هذه الأمور حتى يكثر المترددون عليه، ولا ينجو من شره أحد إلا من آمن عن يقين بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فلو قال قائل: «إنه مسحور» فنحن نعرف أن السحر وارد، ولكن يجب أن نعلم أنها طبيعة فيه، واللّه تعالى حين لا يأذن بضره فلن يضره أحد. أما وجود السحرة فواقعٌ، وهم فتنةٌ للناس؛ والذي يتبع هؤلاء السحرة حتى يصنعوا له السحر أو يفكوا له السحر، يفتن بهم، ويظل طوال عمره في تعب ونصب؛ قال جل جلاله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

لذلك فمن الخير الابتعاد عن هذه المجالات، وعلى الإنسان أن يوثق علاقته بربه، وأن يتمسك بدينه، ويحرص على أداء ما افترضه اللّه تعالى عليه، وإذا أصابه شيء من مثل هذه الأمور فليستعذ باللّه، وليحصّن نفسه بذكر اللّه، وقراءة المعوذتين، ويدعو قدر استطاعته، وليكن من دعائه:

اللّهم إنك أقدرت بعض خلقك على السحر، واحتفظت لذاتك بإذن الضر، فأعوذ بك يا رب مما أقدرت عليه، بما احتفظت به، بحق قولك: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

وعلى الإنسان أن يتجاهل السحرة. فما هم بضارّين أحداً إلا بإذن اللّه، وليعلم كل منا أن ما قدره اللّه له كائن لا محالة، ولو أن الأمة اجتمعت على أن تنفع شخصاً ما بشيء لم يقدره اللّه له فلن تستطيع، ولو اجتمعت على أن تضر شخصاً آخر بشيء لم يقدره اللّه عليه فلن تستطيع، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، فعليه بمداومة ذكر اللّه تعالى وقراءة القرآن وأداء ما افترضه اللّه تعالى عليه، فذلك هو العاصم من السحر وغيره (١).

---

(١) رواه أبو داود [٤٧٠٠]، والترمذي [٢١٤٤] عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إن أول ما خلق اللّه القلم، فقال له: اكتب، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني». وصححه الألباني.

حكم الساحر

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر بمتابعة الرسل والإيمان باللَّه ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب اللَّه ومتابعة رسله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ قال ابن عباس: من نصيب. قال قتادة: وقد علم أهل الكتاب فيما عهد اللَّه إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة. وقال الحسن: ليس له دين. فدلت الآية على تحريم السحر وهو كذلك، بل هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩] واستدل بها بعضهم على كفر الساحر لعموم قوله: ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ يدل عليه: قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقد نص أصحاب أحمد على أنه يكفر بتعلمه وتعليمه. وروى عبد الرزاق عن صفوان بن سليم، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أو كثيراً، كان آخر عهده من اللَّه» وهذا مرسل[(١)].

واختلفوا: هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، وقال أصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر؛ فلا يكفر، وقيل: لا يكفر إلا أن يكون في سحره شرك فيكفر، وهذا قول الشافعي وجماعته.

قال الشافعي رحمه اللَّه تعالى: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها، فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته كفر.

وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يُكَفِّر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك، بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا

---

(١) رواه عبد الرزاق [١٨٧٥٣]، وابن حزم في المحلى [١١/ ٣٩٦]، وفيه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي. كذبوه.

بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب ولهذا سمّاه اللّه تعالى كفراً في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

وفي حديث مرفوع رواه رزين: «الساحر كافر»[١].

وقال أبو العالية: السحر من الكفر.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وذلك أنهما علّماه الخير والشر والكفر والإيمان، فعرفاه أن السحر من الكفر، وقال ابن جريج في الآية: لا يجترئ على السحر إلا الكافر.

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحراً على سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً، ولكنه يكون حراماً لمضرته، فيعزر من يفعله تعزيراً بليغاً[٢].

وعن جندب مرفوعاً: «حَدُّ الساحر ضربة بالسيف»[٣].

قوله: «حد الساحر ضربة بالسيف». روي بالهاء والتاء وكلاهما صحيح، وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة، فقالوا: يقتل الساحر.

وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة، وجندب بن عبد اللّه وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز. ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر، إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر. وبه قال ابن المنذر. وهو رواية عن أحمد، والأول أولى للحديث، ولأثر عمر الذي ذكره المصنف وعمل به الناس في خلافته من غير نكير فكان إجماعاً.

وعن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر، وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر[٤].

---

(١) هذا الحديث مما انفرد به رزين، وما ينفرد به واهٍ في الغالب. انظر الفوائد المجموعة للشوكاني [٤٩].

(٢) تيسير العزيز الحميد [ص: ٣٨٤، ٣٨٥].

(٣) رواه الترمذي [١٤٦٠]، والطبراني في الكبير [١٦٦٥] والدارقطني [٣/ ١١٤]، والحاكم [٤/ ٣٦٠]، وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي [٨/ ١٣٦] والحديث ضعفه الحافظ في الفتح [١٠/ ٢٣٦] ورجح الذهبي في الكبائر [ص: ١٢] وقفه وضعفه الألباني.

(٤) صحيح. رواه الشافعي «بدائع المنن: ١٥٣٢» وأحمد في المسند [١/ ١٩٠، ١٩١]=

وصح عن حفصة[١] رضي اللَّه تعالى عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت. وكذا صح عن جندب[٢].

= وأبو داود [٣٠٤٣] وصححه الشيخ الألباني ـ ورواه البيهقي [٨/ ١٣٦] وابن حزم [١١/ ٣٩٧] وصححه ابن حزم.

(١) رواه مالك [٢/ ٨٧١] عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بلاغاً، ووصله عبد اللَّه بن أحمد في مسائل أبيه [١٥٤٣]، والبيهقي [٨/ ١٣٦] عن ابن عمر بسند صحيح.

(٢) رواه البخاري في التاريخ الكبير [٢/ ٢٢٢]، والبيهقي [٨/ ١٣٦] من طريق خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي، وخالد لم يسمع من أبي عثمان كما قال الإمام أحمد. لكن تابعه عاصم الأحول عن أبي عثمان عند البخاري في التاريخ [٢/ ٢٢٢]، ورواه البيهقي [٨/ ١٣٦] وفي سنده ابن لهيعة.

تيسير العزيز الحميد [ص: ٣٩٢، ٣٩٦] بتصرف.

obeikandl.com

مسائل في السحر
والرد على فخر الدين الرازي

نقلاً عن أضواء البيان
في
إيضاح القرآن بالقرآن

للعلامة محمد الأمين الشنقيطي

اختيار وتحقيق
مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة

obeikandl.com

obeikandl.com

مسائل في السحر

قال العلامة الشنقيطي في تأويل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. قد قدمنا في سورة بني إسرائيل ـ الإسراء ـ إن الفعل في سياق النفي من صيغ العموم؛ لأنه ينحل عند بعض أهل العلم عن مصدر وزمان، وعند بعضهم عن مصدر وزمان ونسبة؛ فالمصدر كامن في مفهومه إجماعاً، وهذا المصدر الكامن في مفهوم الفعل في حكم النكرة فيرجع ذلك إلى النكرة في سياق النفي وهي صيغة عموم عند الجمهور. فظهر أن الفعل في سياق النفي من صيغ العموم، وكذلك الفعل في سياق الشرط؛ لأن النكرة في سياق الشرط أيضاً صيغة عموم. وأكثر أهل العلم على ما ذكرنا من أن الفعل في سياق النفي أو الشرط من صيغ العموم، خلافاً لبعضهم فيما إذا لم يُؤكد الفعل المذكور بمصدر؛ فإن أُكد به فهو صيغة عموم بلا خلاف، كما أشار إلى ذلك في مراقي السعود، بقوله عاطفاً على صيغ العموم:

ونحو لا شربت أو إن شربا واتفقوا إن مصدر قد جلبا

والتحقيق في هذه المسألة أنها لا تختص بالفعل المتعدي دون اللازم، خلافاً لمن زعم، وأنه لا فرق بين التأكيد بالمصدر وعدمه؛ لإجماع النحاة على أن ذكر المصدر بعد الفعل تأكيد للفعل، والتأكيد لا ينشأ به حكم، بل هو مطلق تقوية لشيء ثابت قبل ذلك، كما هو معروف. وخلاف العلماء في عموم الفعل المذكور هل هو بدلالة المطابقة أو الإلتزام معروف.

وإذا علمت ذلك فاعلم أن قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ الآية، يعم نفي جميع أنواع الفلاح عن الساحر، وأكد ذلك بالتعميم في الأمكنة قوله: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾، وذلك دليل على كفره؛ لأن الفلاح لا يُنفى بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر، ويدل على ما ذكرنا أمران:

الأول: هو ما جاء من الآيات الدالة على أن الساحر كافر؛ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ يدل على أنه لو كان ساحراً ـ وحاشاه من ذلك ـ لكان كافراً.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، صريح في كفر معلم السحر.

وقوله سبحانه وتعالى عن هاروت وماروت مقرراً له: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وقوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾، أي: من نصيب، ونفي النصيب في الآخرة بالكلية لا يكون إلا للكافر، عياذاً بالله تعالى.

وهذه الآيات أدلة واضحة على أن من السحر ما هو كفر بواح، وذلك مما لا شك فيه.

الأمر الثاني: أنه عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ﴾ يراد بها الكافر؛ كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٨ ـ ٧٠].

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، إلى غير ذلك من الآيات.

ويفهم من مفهوم مخالفة الآيات المذكورة أن من جانب تلك الصفات التي استوجبت نفي الفلاح عن السحرة والكفرة غيرهم أنه ينال الفلاح، وهو كذلك، كما بينه جل وعلا في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] وقوله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ [طه: ٦٥] مضارع أفلح، بمعنى: نال الفلاح. والفلاح يطلق في العربية على الفوز بالمطلوب؛ ومنه قول لبيد:

فاعقلي إن كنت لما تعقلي ... ولقد أفلح من كان عقل

فقوله: «ولقد أفلح من كان عقل»، يعني: أن من رزقه الله العقل فاز بأكبر

مطلوب. ويطلق الفلاح أيضاً على البقاء والدوام في النعيم؛ ومنه قول لبيد:

لـو أن حـيـا مـدرك الـفـلاح لـنـالـه مـلاعـب الـرمـاح[1]

فقوله: «مدرك الفلاح» يعني: البقاء. وقول الأضبط بن قريع السعدي، وقيل كعب بن زهير:

لـكـل هـم مـن الـهـمـوم سـعـه والـمسى والـصبح لا فـلاح مـعـه

يعني: أنه ليس مع تعاقب الليل والنهار بقاء، وبكل واحد من المعنيين فسر بعض أهل العلم «حي على الفلاح» في الأذان والإقامة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ حيث كلمة تدل على المكان، كما تدل حين على الزمان، ربما ضمنت معنى الشرط، فقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، أي: حيث توجه وسلك. وهذا أسلوب عربي معروف يقصد به التعميم؛ كقولهم: فلان متصف بكذا حيث سير، وأية سلك، وأينما كان؛ ومن هذا القبيل قول زهير:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أية سلكوا[2]

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ أي: لا يفوز، ولا ينجو حيث أتى من الأرض.

وقيل: حيث احتال، والمعنى في الآية هو ما بينا، والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل: لنا له؛ والتصويب من لسان العرب.

(٢) مجمع الأمثال للميداني [٢/باب ٢٦؛ فيما أوله واو].

مسائل تتعلق بهذه الآية الكريمة

المسألة الأولى:

اعلم أن السحر يطلق في اللغة على كل شيء خفي سببه ولطف ودق، ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر؛ ومنه قول مسلم بن الوليد الأنصاري:

جعلت علامات المودة بيننا مصائد لحظهن أخفى من السحر

فأعرف منها الوصل في لين طرفها وأعرف منها الهجر في النظر الشزر

ولهذا قيل لملاحة العينين: سحر؛ لأنها تصيب القلوب بسهامها في خفاء. ومنه قول المرأة التي شببت بنصر بن حجاج السلمي:

وانظر إلى السحر يجري في لواحظه وانظر إلى دعج في طرفه الساجي

المسألة الثانية:

اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متبايناً.

المسألة الثالثة:

اعلم أن الفخر الرازي في تفسيره قَسَّم السحر إلى ثمانية أقسام:

القسم الأول: سحر الكلدانيين والكسدائيين، الذين كانوا في قديم الدهر يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور، والسعادة والنحوسة، وهم الذين بعث اللَّه تعالى إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالتهم ورداً عليهم، وقد أطال الكلام في هذا النوع من السحر.

قال مقيده ـ عفا اللَّه عنه وغفر له ـ: ومعلوم أن هذا النوع من السحر كفر بلا خلاف؛ لأنهم كانوا يتقربون فيه للكواكب كما يتقرب المسلمون إلى اللَّه، ويرجون الخير من قبل الكواكب ويخافون الشر من قبلها، كما يرجو المسلمون ربهم ويخافونه؛ فهم كفرة يتقربون إلى الكواكب في سحرهم بالكفر البواح.

النوع الثاني: من السحر: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، ثم استدل على تأثير الوهم بأن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض، ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه، قال: وما ذاك إلا أن تخيل السقوط متى قوي أوجبه.

وقال: واجتمعت الأطباء على نهي المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان والدوران، وما ذاك إلا أن النفوس خلقت مطيعة للأوهام.

قال: وحكى صاحب الشفاء عن أرسطو في طبائع الحيوان: أن الدجاجة إذا تشبهت كثيراً بالديكة في الصوت وفي الحراب مع الديكة نبت على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك، قال: ثم قال صاحب الشفاء: وهذا يدل على أن الأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانية.

قال: واجتمعت الأمم على أن الدعاء اللساني الخالي عن الطلب النفساني قليل العمل عديم الأثر. فدل ذلك على أن للهمم والنفوس آثاراً... إلى آخر كلامه في هذا النوع من أنواع السحر، وقد أطال فيه الكلام.

ومعلوم أن النفوس الخبيثة لها آثار بإذن اللَّه تعالى، ومن أصرح الأدلة الشرعية في ذلك قوله ﷺ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»[(١)]. وهذا الحديث الصحيح يدل على أن همة العائن وقوة نفسه في الشر جعلها اللَّه سبباً للتأثير في المصاب بالعين.

وقال الرازي في هذا النوع من أنواع السحر: إذا عرفت هذا فنقول: النفوس التي تفعل هذه الأفاعيل قد تكون قوية جداً فتستغني في هذه الأفعال عن الاستعانة بالآلات والأدوات، وقد تكون ضعيفة فتحتاج إلى الاستعانة بهذه الآلات.

وتحقيقه: أن النفس إذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السماء كانت كأنها روح من الأرواح السماوية، فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم، أما إذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه الذات البدنية، فحينئذٍ لا يكون لها تصرف البتة إلا في هذا البدن... إلى آخر كلامه.

ولا يخفى ما فيه على من نظره.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في تفسيره في سورة «البقرة»، بعد أن ساق

---

(١) رواه البخاري [٥٤٠٨] ومسلم [٢١٨٨/ ٤٢] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

كلام الرازي الذي ذكرناه آنفاً ما نصه: ثم أرشد إلى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء والانقطاع عن الناس. وقلت: وهذا الذي يشير إليه هو التصرف بالحال، وهو على قسمين: تارة يكون حالاً صحيحة شرعية، يتصرف بها فيما أمر الله به ورسوله ﷺ، ويترك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ، فهذه الأحوال مواهب من الله تعالى، وكرامات للصالحين من هذه الأمة، ولا يسمى هذا سحراً في الشرع، وتارة تكون الحال فاسدة لا يمتثل صاحبها ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ ولا يتصرف بها في ذلك. فهذه حال الأشقياء المخالفين للشريعة، ولا يدل إعطاء الله إياهم هذه الأحوال على محبته لهم؛ كما أن الدجال له من خوارق العادات ما دلت عليه الأحاديث الكثيرة، مع أنه مذموم شرعاً لعنه الله. وكذلك من شابهه من مخالفي الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى.

النوع الثالث من أنواع السحر المذكورة: الاستعانة بالأرواح الأرضية، يعني: تسخير الجن واستخدامهم.

قال: واعلم أن القول بالجن مما أنكره بعض المتأخرين من الفلاسفة والمعتزلة، أما أكابر الفلاسفة فلم ينكروا القول بها؛ إلا أنهم سموها بالأرواح الأرضية، والجن المذكورون قسمان: مؤمنون، وكافرون وهم الشياطين.

قال الرازي في كلامه على هذا النوع من السحر: واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية، لما بينهما من المناسبة والقرب. ثم إن أصحاب الصنعة وأصحاب التجربة شاهدوا بأن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة من الرقى والدخن والتجريد.

وهذا النوع هو المسمّى بالعزائم، وعمل تسخير الجن.

وقد أطال الرازي أيضاً الكلام في هذا النوع من أنواع السحر.

النوع الرابع من أنواع السحر: هو التخيلات والأخذ بالعيون، ومبنى هذا النوع منه على أن القوة الباصرة قد ترى الشيء على خلاف ما هو عليه في الحقيقة لبعض الأسباب العارضة؛ ولأجل هذا كانت أغلاط البصر كثيرة. ألا ترى أن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركاً، وذلك يدل على أن الساكن يُرى متحركاً، والمتحرك ساكناً، والقطرة النازلة ترى خطاً مستقيماً. إلى آخر كلام الرازي.

وقد أطال الكلام أيضاً في هذا النوع.

obeikandl.com

وقال ابن كثير رحمه اللّه في تفسيره في سورة «البقرة» مختصراً كلام الرازي المذكور: ومبناه على أن البصر قد يخطئ ويشتغل بالشيء المعين دون غيره، ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه عمل شيئاً آخر عملاً بسرعة شديدة، وحينئذٍ يظهر لهم شيء غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه لفطن الناظرون لكل ما يفعله.

قال: «وكلما كانت الأحوال تفيد حسن البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد، كان العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدًّا أو مظلم، فلا تقف القوة الناظرة على أحوالها والحالة هذه». اهـ منه.

ولا يخفى أن يكون سحر سحرة فرعون من هذا النوع؛ فهو تخييل وأخذ بالعيون كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، فإطلاق التخييل في الآية على سحرهم نص صريح في ذلك. وقد دل على ذلك أيضاً قوله سبحانه وتعالى في «الأعراف»: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]. لأن إيقاع السحر على أعين الناس في الآية يدل على أن أعينهم تخيلت غير الحقيقة الواقعة، والعلم عند اللّه تعالى.

النوع الخامس: من أنواع السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية، كفارس على فرس في يده بوق، كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد. ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى إنهم يصورونها ضاحكة وباكية، حتى يفرق فيها بين ضحك السرور، وبين ضحك الخجل، وضحك الشامت.

فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل.

قال الرازي: وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب، ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال، وهو أن يجر ثقيلاً عظيماً بآلة خفيفة سهلة، وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر؛ لأن لها أسباباً معلومة نفيسة، من اطلع عليها قدر عليها، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيراً عدّ أهل الظاهر ذلك من باب السحر لخفاء مأخذه. اهـ.

وقد علمت أن الرازي يرى أن سحر سحرة فرعون من هذا النوع الأخير؛ لأن السحرة جعلوا الزئبق على الحبال والعصي فحركته حرارة الشمس فتحركت الحبال والعصي، فظنوا أنها حركة طبيعية حقيقية. والذي يظهر لنا أنه من النوع الذي قبله كما قدمنا، ولا مانع من أن يتوارد نوعان على شيء واحد فيكون داخلاً في هذا وفي هذا، والله تعالى أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى، بعد أن ذكر كلام الرازي الذي ذكرنا في هذا النوع من السحر، قلت: ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم بما يرونهم إياه من الأنوار؛ كقضية قمامة الكنيسة التي لهم ببيت المقدس، وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة، وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على الطغام منهم، وأما الخواص منهم فمعترفون بذلك، ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم، فيرون ذلك سائغاً لهم، وفيهم شبه من الجهلة الأغبياء من متعبدي الكرامية الذين يرون جواز وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب، فيدخلون في عداد من قال رسول الله ﷺ فيهم: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[(١)].

وقوله: «حدثوا عني ولا تكذبوا علي، فإنه من يكذب علي يلج النار»[(٢)].

ثم ذكرها هنا ـ يعني الرازي ـ حكاية عن بعض الرهبان، وهي أنه سمع صوت طائر حزين الصوت، ضعيف الحركة، فإذا سمعته الطيور ترق له فتذهب في وكره من ثمر الزيتون ليتبلغ به، فعمد هذا الراهب إلى صنعة طائر على شكله وتوصل إلى أن جعله أجوف، فإذا دخلته الريح سمع منه صوت كصوت ذلك الطائر، وانقطع في صومعة ابتناها، وزعم أنها على قبر بعض صالحيهم، وعلق ذلك الطائر في مكان منها، فإذا كان زمان الزيتون فتح باباً من ناحيته فتدخل الريح إلى داخل هذه الصورة فيسمع صوتها كل طائر في شكله أيضاً، فتأتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئاً كثيراً، فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون في هذه الصومعة ولا يدرون ما سببه، ففتنهم بذلك وأوهمهم أن هذا من كرامات صاحب ذلك القبر، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، انتهى كلام ابن كثير.

وذكر الرازي في هذه المسألة التي نقلها عنه ابن كثير: أن ذلك الطائر المذكور يسمى البراصل، وأن الذي عمل صورته يسمى أرجعيانوس الموسيقار،

---

(١) رواه البخاري [٥٤٠٨]، ومسلم [٣/ ٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) رواه مسلم [١/ ١] عن علي رضي الله تعالى عنه.

وأنه جعل ذلك على هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه، وأن الذي قام بعمارة ذلك الهيكل أولاً: أسطرخس الناسك.

قال مقيده ـ عفا اللّه عنه وغفر له ـ: وهذا النوع الخامس الذي عده الرازي من أنواع السحر، الذي هو الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية.. إلخ لا ينبغي عده اليوم من أنواع السحر؛ لأن أسبابه صارت واضحة متعارفة عند الناس، بسبب تقدم العلم المادي. والواضح الذي صار عادياً لا يدخل في حد السحر، وقد كانت أمور كثيرة خفية الأسباب فصارت اليوم ظاهرتها جداً، واللّه تعالى أعلم.

النوع السادس: من أنواع السحر: الاستعانة بخواص الأدوية، مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله، وقلت فطنته، قاله الرازي.

ثم قال: «واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص، فإن أثر المغناطيس مشاهدة إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب، والباطل بالحق». اهـ كلام الرازي.

وقال ابن كثير رحمه اللّه، بعد أن ذكر هذا النوع من السحر نقلاً عن الرازي: قلت: «يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر، ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعياً أنها أحوال له: من مخالطة النيران، ومسك الحيات، إلى غير ذلك من المحاولات». انتهى كلام ابن كثير.

النوع السابع: من أنواع السحر المذكور: تعليق القلب، وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأحوال، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز، اعتقد أنه حق، وتعلق قلبه بذلك، حصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فحينئذٍ يتمكن الساحر من أن يفعل ما يشاء.

قال الرازي: وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم، علم أن لتعلق القلب أثراً عظيماً في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار.

وقال ابن كثير بعد أن نقل هذا النوع من السحر عن الرازي: قلت: هذا النمط يقال له التنبلة وإنما يروج على ضعفاء العقول من بني آدم، وفي علم الفِراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه؛ فإذا كان النبيل حاذقاً في علم الفِراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره.

النوع الثامن: من أنواع السحر: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه لطيفة خفية وذلك شائع في الناس اهـ.

والتضريب بين القوم: إغراء بعضهم على بعض.

وقال ابن كثير رحمه الله، بعد أن نقل هذا النوع الأخير عن الرازي، قلت: النميمة على قسمين: تارة تكون على وجه التحريش بين الناس، وتفريق قلوب المؤمنين؛ فهذا حرام متفق عليه، فأما إن كانت على وجه الإصلاح بين الناس، وائتلاف كلمة المسلمين، كما جاء في الحديث: «ليس الكذاب من ينم خيراً»(١)، أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث: «الحرب خدعة»(٢) وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة، جاء إلى هؤلاء ونمى إليهم عن هؤلاء، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئاً آخر، ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس وافترقت. وإنما يحذو على مثل هذا الذكاء ذو البصيرة النافذة، والله المستعان.

ثم قال الرازي: فهذه جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه.

قلت: وإنما أدخل كثيراً من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطافة مداركها؛ لأن السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه، ولهذا جاء في الحديث: «إن من البيان لسحراً»(٣) وسمّي السحور سحوراً لكونه يقع خفياً آخر الليل.

والسحر: الرئة وهي محل الغذاء، وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغضونه، كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة: انتفخ سحره، أي: انتفخت رئته من الخوف. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري(٤).

وقال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾، أي: أخفوا عنهم عملهم. انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري [٢٥٤٦] ومسلم [٢٦٠٥/١٠١] عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً أو يقول: خيراً».

(٢) رواه البخاري [٢٨٦٦] ومسلم [١٧٤٠/١٨] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٣) رواه البخاري [٤٨٥١] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما.

(٤) رواه البخاري [٤١٨٦] عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

وهذا هو حاصل الأقسام الثمانية التي ذكرها الفخر الرازي في تفسيره في سورة البقرة، انقسام السحر إليها.

ولأهل العلم فيه تقسيمات متعددة يرجع غالبها إلى هذه الأقسام المذكورة. وقد قسمه الشيخ سيدي عبد اللّه ابن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي ـ صاحب التآليف العديدة المفيدة ـ في نظمه المسمّى «رشد الغافل» وشرحه له، الذي بين فيه أنواع علوم الشر لتتقى وتجتنب إلى أقسام متعددة:

منها قسم يسمى بالهيمياء، بكسر الهاء بعدها مثناة تحتية فميم فياء بعدها ألف التأنيث الممدودة، على وزن كبرياء.

قال: «وهو ما تركب من خواص سماوية تضاف لأحوال الأفلاك، يحصل لمن عمل له شيء من ذلك أمور معلومة عند السحرة، وقد يبقى له إدراك، وقد يسلبه بالكلية فتصير أحواله كحالات النائم من غير فرق، حتى يتخيل مرور السنين الكثيرة في الزمن اليسير، وحدوث الأولاد وانقضاء الأعمار وغير ذلك في ساعة ونحوها من الزمن اليسير. ومن لم يعمل له ذلك لا يجد شيئاً مما ذكر، وهذا تخييل لا حقيقة له». اهـ.

ومنها نوع يسمى بالسيمياء: بكسر السين المهملة وبقية حروفة كحروف ما قبله. قال: وهو عبارة عما تركب من خواص أرضية كدهن خاص، أو مائعات خاصة يبقى معها إدراك. وقد يسلب بالكلية إلى آخر ما تقدم في الهيمياء.

ومنها نوع هو رقى ضارة قال: كرقى الجاهلية وأهل الهند، وربما كانت كفراً. قال: ولهذا نهى مالك رحمه اللّه عن الرقى بالعجمية. قال: وقال ابن زكري في شرح النصيحة: ولا يقال لما يحدث ضرراً رقى، بل ذلك يقال له سحر.

ومنها قسم يسمى خصائص بعض الحقائق التي لها تسلط على النفوس: كالمشط والمشاطة وجف طلع الذكر من النخل، وقصة جعل اليهودي الذي سحر النبي ﷺ لما ذكر في سحره مشهورة[1].

ومن أمثلة هذا النوع عند أهله: أن بعض أنواع الكلاب من شأنه إذا رمي بحجر أن يعضه فإذا رمي بسبع حجارة وعض كل واحدة منه وطرحت تلك الحجارة في ماء فمن شرب منه فإن السحرة يزعمون أنه تظهر فيه آثار مخصوصة معروفة عندهم؛ قبحهم اللّه تعالى.

---

(١) قد تقدم الحديث في شأنها فراجعه.

ومنها نوع يسمى بالطلاسم: وهو عبارة عن نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهلها في جسم من المعادن أو غيرها، تحدث بها خاصية ربطت في مجاري العادات، ولا بدّ مع ذلك من نفس صالحة لهذه الأعمال؛ فإن بعض النفوس لا تجري الخاصة المذكورة على يده.

ومنها نوع يسمى بالعزائم: وهم يزعمون أن لكل نوع من الملائكة أسماء أمروا بتعظيمها، ومتى أقسم عليهم بها أطاعوا وأجابوا وفعلوا ما طلب منهم. اهـ.

ولا يخفى ما في هذا الزعم من الفساد.

ومنها نوع يسمونه الاستخدام للكواكب والجن: وأهل الاستخدامات يزعمون أن للكواكب إدراكات روحانية، فإذا قوبلت الكواكب ببخور خاص ولباس خاص على الذي يباشر البخور، كانت روحانية فلك الكواكب مطيعة له، متى ما أراد شيئاً فعلته له على زعمهم، لعنهم اللّه تعالى.

وهذا النوع من سحر الكلدانيين المتقدم.

وكذلك ملوك الجان يزعمون أنهم إذا عملوا لهم أشياء خاصة بكل ملك من ملوكهم أطاعوا وفعلوا لهم ما أرادوا، قال: وشروط هذه الأمور مستوعبة في كتبهم. وذكر رحمه اللّه من علوم الشر أنواعاً كثيرة: كالخط، والأشكال، والموالد، والقرعة، والفأل، وعلم الكتف، والموسيقى، والرعدي، والكهانة، وغير ذلك.

والخط الرملي معروف، والأشكال جمع شكل، ويسمى علمها علم الجداول وعلم الأوفاق، وهي معروفة، وهي من الباطل.

والموالد جمع مولد، وهي أن يدعي من معرفة النجم الذي كان طالعاً عند ولادة الشخص أنه يكون سلطاناً أو عالماً، أو غنياً أو فقيراً، أو طويل العمر أو قصيره، ونحو ذلك.

والقرعة ما يسمونه قرعة الأنبياء، وحاصلها جدول مرسوم في بيوته أسماء الأنبياء وأسماء الطيور، وبعد الجدول تراجم لكل اسم ترجمة خاصة به، ويذكر فيها أمور من المنافع والمضار، يقال للشخص غمض عينيك وضع أصبعك في الجدول؛ فإذا وضعها على اسم قرئت له ترجمته ليعتقد أنه يكون ذلك المذكور منها.

قال: وقد عدها العلماء من باب الاستقسام بالأزلام.

ومراده بالفأل: الفأل المكتسب؛ كأن يريد إنسان التزوج أو السفر مثلاً، فيخرج ليسمع ما يفهم منه الإقدام أو الإحجام، ويدخل فيه النظر في المصحف لذلك، ولا يخفى أن ذلك من نوع الاستقسام بالأزلام. وأما ما يعرض من غير اكتساب كأن يسمع قائلاً يقول: ما مفلح، فليس من هذا القبيل كما جاءت به الأحاديث الصحيحة.

وعلم الكتف: علم يزعم أهل الشر والضلال أن من علمه يكون إذا نظر في أكتاف الغنم اطلع على أمور من الغيب، وربما زعم المشتغل به أن السلطان يموت في تاريخ كذا، وأنه يطرأ رخص أو غلاء أو موت الأعيان كالعلماء والصالحين، وقد يذكر شأن الكنوز أو الدفائن، ونحو ذلك والموسيقى معروفة، وكلها من الباطل، كما لا يخفى على من له إلمام بالشرع الكريم.

والرعديات: علم يزعم أهله أن الرعد إذا كان في وقت كذا من السنة والشهر فهو علامة على أمور غيبية من جدب وخصب، وكثرة الرواج في الأسواق وقلته، وكثرة الموت وهلاك الماشية، وانقراض الملك، ونحو ذلك. والفرق بين العرافة والكهانة مع أنهما يشتركان في دعوى الإطلاع على الغيب: أن العرافة مختصة بالأمور الماضية، والكهانة مختصة بالأمور المستقبلة. اهـ منه.

وعلوم الشر كثيرة، وقصدنا بذكر ما ذكرنا منها التنبيه على خستها وقبحها شرعاً، وأن منها ما هو كفر بواح، ومنها ما يؤدي إلى الكفر، وأقل درجاتها التحريم الشديد.

وقد دلّ بعض الأحاديث والآثار على أن العيافة والطرق والطيرة من السحر[١] وقد قدمنا معنى ذلك في الأنعام وعنه ﷺ من حديث ابن عباس رضي اللّه تعالى عنه: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[٢] رواه أبو داود بإسناد صحيح. وللنسائي من حديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه»[٣].

---

(١) رواه أبو داود [٣٩٠٧] عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت». وقال الألباني ضعيف.

(٢) رواه أبو داود [٣٩٠٥] وحسنه الألباني.

(٣) رواه النسائي في المجتبى [٤٠٧٩] وضعفه الألباني.

المسألة الرابعة:

اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة، أو هو تخييل لا حقيقة له؟ والتحقيق: أن منه ما هو حقيقة كما قدمنا، ومنه ما هو تخييل، كما تقدم إيضاحه. وهو مفهوم من أقسام السحر المتقدمة في كلام الرازي وغيره.

المسألة الخامسة:

اختلف العلماء فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال بعضهم: إنه يكفر بذلك، وهو قول جمهور العلماء منهم: مالك، وأبو حنيفة، وأصحاب أحمد، وغيرهم. وعن أحمد ما يقتضى عدم كفره. وعن الشافعي أنه إذا تعلم السحر قيل له: صف لنا سحرك؛ فإن وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر، وإلا فلا. وأقوال أهل العلم في ذلك كثيرة معروفة.

قال مقيده ـ عفا الله عنه وغفر له ـ التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل؛ فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك، مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع. ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكورين في سورة البقرة فإنه كفر بلا نزاع؛ كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ كما تقدم إيضاحه.

وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها، فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر، هذا هو التحقيق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة التي اختلف فيها العلماء.

المسألة السادسة:

اعلم أن العلماء اختلفوا في الساحر هل يقتل بمجرد فعله للسحر واستعماله له أو لا؟ قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله له؟ فقال مالك وأحمد: نعم. وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا. فأما إن قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد.

وقال ابو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك، أو يقر بذلك في حق شخص

معين، وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي، فإنه قال: يقتل والحالة هذه قصاصاً.

وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم: لا تقبل.

وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: تقبل التوبة.

وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة أنه يقتل، كما يقتل الساحر المسلم.

وقال مالك والشافعي وأحمد: لا يقتل؛ يعني لقصة لبيد بن الأعصم.

واختلفوا في المسلمة الساحرة، فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل، ولكن تحبس. وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل. وقال أبو بكر الخلال: أخبرنا أبو بكر المروزي، قال: قرأ على أبي عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ عن عمر بن هارون، أخبرنا يونس عن الزهري، قال: يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين؛ لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها. وقد نقل عن القرطبي عن مالك رحمه الله، أنه قال في الذمي: «يقتل إن قتل بسحره».

وحكى ابن خويز منداد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر: **إحداهما**: أنه يستتاب فإن أسلم وإلا قتل. **والثانية**: أنه يقتل وإن أسلم.

وأما الساحر المسلم، فإن تضمن سحره كفراً كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ لكن قال مالك: إذا ظهر عليه لم تقبل توبته؛ لأنه كالزنديق فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاء تائباً قبلناه؛ فإن قتل سحره قتل.

قال الشافعي: فإن قال: لم أتعمد القتل، فهو مخطئ تجب عليه الدية. انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى.

وقال النووي في شرح مسلم: وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا، وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر واستتيب منه ولا يقتل عندنا، فإن تاب قبلت توبته.

وقال مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب، ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله، والمسألة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق؛ لأن الساحر عنده كافر كما ذكرنا، وعندنا ليس بكافر، وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق.

وقال القاضي عياض: وبقول مالك قال أحمد بن حنبل، وهو مروي عن

جماعة من الصحابة والتابعين. قال أصحابنا: فإذا قتل الساحر بسحره إنساناً واعترف أنه مات بسحره وأنه يَقتل غالباً لزمه القصاص. وإن قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص، وتجب الدية في ماله لا على عاقلته، لأن العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني.

وقال أصحابنا: ولا يتصور القتل بالسحر بالبينة، وإنما يتصور باعتراف الساحر، والله أعلم. انتهى كلام النووي.

وقال ابن حجر في فتح الباري، في الكلام على قول البخاري رحمه الله: باب السحر، وقول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، وقد استدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها، وهو التعبد للشياطين أو الكواكب. وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر من تعلمه أصلاً.

قال النووي: عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً، بل معصية كبيرة. فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا. وأما تعلمه وتعليمه فحرام، إلى آخر كلام النووي الذي ذكرناه عنه آنفاً. ثم إن ابن حجة لما نقله عنه، قال: في المسألة اختلاف كبير وتفاصيل ليس هذا موضع بسطها اهـ.

قال مقيده ـ عفا الله عنه وغفر له ـ: التحقيق في هذه المسألة إن شاء الله تعالى أن السحر نوعان، كما تقدم. منه ما هو كفر، ومنه ما لا يبلغ بصاحبه الكفر، فإن كان الساحر استعمل السحر الذي هو كفر فلا شك في أنه يقتل كفراً؛ لقوله ﷺ: «من بدل دينه، فاقتلوه»[1].

وأظهر القولين عندي في استتابته أنه يستتاب، فإن تاب قبلت توبته. وقد بينت في كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، في سورة آل عمران، أن أظهر القولين دليلاً أن الزنديق تقبل توبته؛ لأن الله لم يأمر نبيه ﷺ ولا أمته ﷺ بالتنقيب عن قلوب الناس؟ بل بالاكتفاء بالظاهر، وما يخفون في سرائرهم أمره إلى الله تعالى. خلافاً للإمام مالك رحمه الله وأصحابه القائلين بأن الساحر له حكم الزنديق؛ لأنه مستسر بالكفر، والزنديق لا تقبل توبته عنده إلا إذا جاء تائباً قبل

(١) رواه البخاري [٦٥٢٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

الاطلاع عليه. وأظهر القولين عندي: أن المرأة الساحرة حكمها حكم الرجل الساحر وأنها إن كفرت بسحرها قتلت كما يقتل الرجل؛ لأن لفظة «من» في قوله: «من بدل دينه، فاقتلوه»، تشمل الأنثى على أظهر القولين وأصحهما إن شاء اللَّه تعالى ومن الأدلة على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [النساء: ١٢٤]، فأدخل الأنثى في لفظة ﴿مِنَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] إلى غير ذلك من الآيات.

وإلى هذه المسألة التي هي شمول لفظة «من» في الكتاب والسنة للأنثى أشار في مراقي السعود، بقوله:

وما شمول من لآلئ جنف وفي شبيه المسلمين اختلفوا

وأما إذا كان الساحر عمل السحر الذي لا يبلغ بصاحبه الكفر، فهذا هو محل الخلاف بين العلماء.

فالذين قالوا: يقتل، ولو لم يكفر بسحره، قال أكثرهم: يقتل حداً ولو قتل إنساناً، بسحره، وانفرد الشافعي في هذه الصورة بأنه يقتل قصاصاً لا حداً.

وهذه حجج الفريقين ومناقشتها:

أما الذين قالوا مطلقاً إذا عمل بسحره، ولو لم يقتل به أحداً فاستدلوا بآثار عن الصحابة رضي اللَّه تعالى عنهم، وبحديث جاء في ذلك إلا أنه لم يصح فمن الآثار الدالة على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب «الجهاد في باب الجزية»: حدّثنا علي بن عبد اللَّه، حدّثنا سفيان، قال: سمعت عمراً قال: كنت جالساً مع جابر بن زيد وعمرو بن أوس فحدثهما بجالة سنة سبعين عام حج مصعب بن الزبير بأهل البصرة عند درج زمزم، قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: اقتلوا كل ساحر[1]، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، قال: فقتلنا في يوم واحد ثلاث سواحر، وفرقنا بين المحارم منهم. ورواه أيضاً أحمد وأبو داود، واعلم أن لفظة: اقتلوا كل ساحر، إلخ، في هذا الأثر ساقطة في بعض روايات البخاري، ثابتة في بعضها، وهي ثابتة في رواية مسدد

(١) ذكره الحافظ في الفتح [المجلد السادس ـ كتاب الجزية ـ باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب].

وأبي يعلى؛ قاله في الفتح. ومن الآثار الدالة على ذلك أيضاً ما رواه مالك في الموطأ، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت[١].

قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره هو مثل الذي قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه، انتهى من الموطأ، ونحوه أخرجه عبد الرزاق.

ومن الآثار الدالة على ذلك ما رواه البخاري في تاريخه الكبير: حدّثنا إسحاق حدّثنا خالد الواسطي، عن خالد الحذاء، عن أبي عثمان: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله. حدّثني عمرو بن محمد، حدّثنا هشيم، عن خالد، عن أبي عثمان، عن جندب البجلي: أنه قتله. حدّثنا موسى، قال: حدّثنا عبد الواحد، عن عاصم، عن أبي عثمان: قتله جندب بن كعب. وفي فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى، بعد أن أشار لكلام البخاري في التاريخ الذي ذكرنا، ورواه البيهقي في الدلائل مطولاً وفيه: فأمر به الوليد فسجن فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة. انتهى منه.

فهذه آثار عن ثلاثة من الصحابة في قتل الساحر؛ وهم: عمر وابنته أم المؤمنين حفصة، وجندب رضي الله تعالى عنهم جميعاً، ولم يعلم لهم مخالف من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. ويعتضد ذلك بما رواه الترمذي والدارقطني عن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ: «حدّ الساحر ضربه بالسيف»[٢] وضعف الترمذي إسناد هذا الحديث، وقال: الصحيح عن جندب موقوف، وتضعيفه بأن في إسناده إسماعيل بن مسلم المكي وهو يضعف في الحديث.

وقال في فتح المجيد، أيضاً في الكلام على حديث جندب المذكور: روى ابن السكن من حديث بردة أن النبي ﷺ قال: «يضرب ضربة واحدة فيكون أمة واحدة»[٣]. اهـ منه.

---

(١) رواه مالك في الموطأ [٢/ ٨٧١/ ١٥٦٢].

(٢) رواه الترمذي [١٤٦٠] وضعفه الألباني.

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة [الجزء الأول ـ حرف الجيم بعدها النون].

وقال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر تضعيفه بإسماعيل المذكور: قلت: قد رواه الطبراني من وجه آخر، عن الحسن، عن جندب مرفوعاً. اهـ. وهذا يقويه كما ترى.

فهذه الآثار التي لم يعلم أن أحداً من الصحابة أنكرها على من عمل بها مع اعتضادها بالحديث المرفوع المذكور، هي حجة من قال بقتله مطلقاً. والآثار المذكورة والحديث فيهما الدلالة على أنه يقتل، ولو لم يبلغ به سحره الكفر؛ لأن الساحر الذي قتله جندب رضي الله تعالى عنه كان سحره من نحو الشعوذة والأخذ بالعيون حتى إذا يخيل إليهم أنه أبان رأس الرجل، والواقع بخلاف ذلك. وقول عمر: اقتلوا كل ساحر، يدل على ذلك لصيغة العموم. وممن قال بمقتضى هذه الآثار وهذا الحديث: مالك، وأبو حنيفة، وأحمد في أصح الروايتين، وعمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم.

كما نقله عنهم ابن قدامة في المغني، خلافاً للشافعي، وابن المنذر ومن وافقهما.

واحتج من قال: بأنه إن كان سحره لم يبلغ به الكفر لا يقتل بحديث ابن مسعود المتفق عليه: «لا يحرم دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث . . .»[1] الحديث، وقد قدمناه مراراً.

وليس السحر الذي لم يكفر صاحبه من الثلاث المذكورة.

قال القرطبي منتصراً لهذا القول: وهذا صحيح، ودماء المسلمين محظورة لا تستباح إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف، والله أعلم.

واحتجوا أيضاً بأن عائشة رضي الله تعالى عنها باعت مدبرة لها سحرتها، ولو وجب قتلها لما حل بيعها؛ قاله ابن المنذر وغيره.

وما حاوله بعضهم من الجمع بين الأدلة المذكورة بحمل الساحر على الذي يقتضي الكفر في قول من قال بالقتل، وحمله على الذي لا يقتضي الكفر في قول من قال بعدم القتل، لا يصح؛ لأن الآثار الواردة في قتله جاءت بقتل الساحر الذي

---

(١) روى البخاري [٦٨٧٨] ومسلم [١٦٧٦/ ٢٥] عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزان والنفس بالنفس، والتارك لدينه، والمفارق للجماعة».

obeikandl.com

سحره من نوع الشعوذة كساحر جندب الذي قتله، وليس ذلك مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام، كما تقدم إيضاحه. فالجمع غير ممكن، وعليه فيجب الترجيح، فبعضهم يرجح عدم القتل بأن دماء المسلمين حرام إلا بيقين. وبعضهم يرجح القتل بأن أدلته خاصة ولا يتعارض عام وخاص؛ لأن الخاص يقضي على العام عند أكثر أهل الأصول، كما هو مقرر في محله.

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: والأظهر عندي أن الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ولم يقتل به إنساناً أنه لا يقتل؛ لدلالة النصوص القطعية، والإجماع على عصمة دماء المسلمين عامة إلا بدليل واضح. وقتل الساحر الذي لم يكفر بسحره لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ، والتجرؤ على دم مسلم من غير دليل صحيح من كتاب أو سنة مرفوعة غير ظاهر عندي، والعلم عند الله تعالى. مع أن القول بقتله مطلقاً قوي جدًّا لفعل الصحابة له من غير نكير.

المسألة السابعة:

اعلم: أن الناس اختلفوا في تعلم السحر من غير عمل به، هل يجوز أو لا؟ والتحقيق، وهو الذي عليه الجمهور: هو أنه لا يجوز، ومن أصرح الأدلة في ذلك تصريحه تعالى بأنه يضر ولا ينفع في قوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وإذا أثبت الله أن السحر ضار ونفى أنه نافع، فكيف يجوز تعلم ما هو ضرر محض لا نفع فيه!؟

وجزم الفخر الرازي في تفسيره في سورة البقرة، بأنه جائز بل واجب، قال ما نصه:

المسألة الخامسة: في أن العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور، اتفق المحققون على ذلك؛ لأن العلم لذاته شريف، وأيضاً لعموم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً، وما يكون واجباً كيف يكون حراماً وقبيحاً انتهى منه بلفظه. ولا يخفى سقوط هذا الكلام وعدم صحته، وقد تعقبه ابن كثير رحمه الله في تفسيره، بعد أن نقله عنه بلفظه الذي ذكرنا، بما نصه: وهذا الكلام فيه نظر من وجوه، **أحدها**: قوله: «العلم بالسحر ليس بقبيح» إن عني به ليس بقبيح عقلاً فمخالفوه من المعتزلة

يمنعون هذا، وإن عني أنه ليس بقبيح شرعاً ففي هذه الآية الكريمة، يعني قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾، تبشيع لعلم السحر.

وفي السنن: «من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد»[(١)]، وفي السنن: «من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر»[(٢)]، وقوله: «ولا محظور، اتفق المحققون على ذلك»، كيف لا يكون محظوراً مع ما ذكرناه من الآية والحديث، واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم، وأين نصوصهم على ذلك!!

ثم إدخاله علم السحر في عموم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه نظر؛ لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي، ولم قلت إن هذا منه!! ثم ترقيه إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم بالمعجزة إلا به ضعيف بل فاسد؛ لأن أعظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلاً، ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز، ويفرقون بينه وبين غيره، ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه، والله أعلم. انتهى.

ولا يخفى أن كلام ابن كثير هذا صواب، وأن ردّه على الرازي واقع موقعه، وأن تعلم السحر لا ينبغي أن يختلف في منعه؛ لقوله جل وعلا: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وقول ابن كثير في كلامه المذكور: وفي الصحيح: «من أتى عرافاً أو كاهناً..» إلخ، إن كان يعني أنه في الصحيحين أو أحدهما فليس كذلك.

وبذلك كله تعلم أن قول ابن حجر في فتح الباري: وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأمرين: إما لتمييز ما فيه كفر من غيره، وإما لإزالته عمن وقع فيه.

فأما الأول: فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد

---

(١) رواه أحمد في المسند [٢/ ٤٢٩] وقال الأرناؤوط: حديث حسن.

(٢) سبق تخريجه.

فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعاً كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان؛ لأن كيفية ما يعلمه الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل، بخلاف تعاطيه والعمل به.

وأما الثاني: فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق، فلا يحل أصلاً، وإلا جاز للمعنى المذكور. اهـ. خلاف التحقيق، إذ ليس لأحد أن يبيح ما صرح الله بأنه يضر ولا ينفع، مع أن تعلمه قد يكون ذريعة للعمل به، والذريعة إلى الحرام يجب سدها، كما قدمنا. قال في المراقي:

سدّ الذرائع إلى المحرم حتم كفتحها إلى المنحتم

هذا هو الظاهر لنا، والعلم عند الله تعالى.

المسألة الثامنة:

اعلم أن العلماء اختلفوا في حل السحر عن المسحور، فأجازه بعضهم، ومنعه بعضهم. وممن أجازه سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى.

قال البخاري في صحيحه باب هل يستخرج السحر: وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه، أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح؛ فأما ما ينفع فلم ينه عنه اهـ.

ومال إلى هذا المزني. وقال الشافعي: لا بأس بالنشرة؛ قاله القرطبي وقال أيضاً: قال ابن بطال: وفي كتاب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل، فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله، انتهى منه.

وممن أجاز النشرة وهي حل السحر عن المسحور: أبو جعفر الطبري، وعامر الشعبي وغيرهما. وممن كره ذلك: الحسن. وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ لما سحره لبيد بن الأعصم: هلا تنشرت؟ فقال: «أما الله فقد شفاني وكرهت أن أثير على الناس شراً»[1].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه في هذه المسألة: أن استخراج السحر إن كان بالقرآن كالمعوذتين، وآية الكرسي ونحو ذلك مما تجوز الرقيا به، فلا مانع من ذلك. وإن كان بسحر أو بألفاظ عجمية، أو بما

---

(١) رواه البخاري [٦٠٢٨].

لا يفهم معناه، أو بنوع آخر مما لا يجوز فإنه ممنوع. وهذا واضح وهو الصواب إن شاء الله تعالى، كما ترى.

وقال ابن حجر في «فتح الباري»، ما نصه: «تكميل» قال ابن القيم رحمه الله: من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية: من الذكر، والدعاء، والقراءة؛ فالقلب إذا كان ممتلئاً من الله، معموراً بذكره، وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه، لا يخل به؛ كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له. قال: وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثر فيه النساء والصبيان والجهال؛ لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على الأرواح، تلقاها مستعدة لما يناسبها، انتهى ملخصاً. ويعكر عليه حديث الباب، وجواز السحر على النبي ﷺ، مع عظيم مقامه، وصدق توجهه، وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب، وإنما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك، والله أعلم. انتهى من فتح الباري.

المسألة التاسعة:

اعلم: أن العلماء اختلفوا في تحقيق القدر الذي يمكن أن يبلغه تأثير السحر في المسحور، واعلم أن لهذه المسألة واسطة وطرفين: طرف لا خلاف في أن تأثير السحر يبلغه كالتفريق بين الرجل وامرأته، وكالمرض الذي يصيب المسحور من السحر ونحو ذلك ودليل ذلك القرآن والسنة الصحيحة.

أما القرآن فقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فصرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة بأن من تأثير السحر التفريق بين المرء وزوجه.

وأما السنة فما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها بألفاظ متعددة متقاربة: أن رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن؛ فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقاً قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان»، قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه، فقال: «هذه البئر التي أريتها» وكأن ماءها نقاعة

الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين، فاستخرج. قالت: فقلت: أفلا أي تنشرت؟ فقال: «أما اللَّه فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً»[1] اهـ.

هذا لفظ البخاري في بعض رواياته لهذا الحديث، والقصة مشهورة صحيحة. ففي هذا الحديث الصحيح أن تأثير السحر فيه ﷺ سبب له المرض، بدليل قوله: «أما اللَّه فقد شفاني»، وفي بعض الروايات الثابتة في صحيح البخاري وغيره بلفظ: «فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب»؛ أي: مسحور. وهو تصريح بأن السحر سبب له وجعاً. ونفى بعض الناس لهذه القصة مستدلاً بأنها لا تجوز في حقه ﷺ لقوله تعالى عن الكفار منكراً عليهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

ساقط؛ لأن الروايات الصحيحة الثابتة لا يمكن ردّها بمثل هذه الدعاوى، وسترى في آخر البحث هذه المسألة إن شاء اللَّه تعالى إيضاح وجه ذلك.

وطرف لا خلاف في أن تأثير السحر لا يمكن أن يبلغه؛ كإحياء الموتى، وفلق البحر ونحو ذلك.

قال القرطبي في تفسيره: أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر ما يفعل اللَّه عنده إنزال الجراد والقمل والضفادع، وفلق البحر، وقلب العصا، وإحياء الموتى، وإنطاق العجماء، وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون لا يفعله اللَّه عند إرادة الساحر.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: وإنما منعنا ذلك بالإجماع ولولاه لأجزناه، انتهى كلام القرطبي.

وأما الواسطة فهي محل خلاف بين العلماء، وهي هل يجوز أن ينقلب بالسحر الإنسان حماراً مثلاً، والحمار إنساناً؟ وهل يصح أن يطير الساحر في الهواء، وأن يستدق جسمه أسمع حتى يدخل من كوة ضيقة. وينتصب على رأس قصبة، ويجري على خيط مستدق، ويمشي على الماء، ويركب الكلب ونحو ذلك. فبعض الناس يجيز هذا. وجزم بجوازه الفخر الرازي في تفسيره، وكذلك صاحب رشد الغافل وغيرهما. وبعضهم يمنع مثل هذا.

قال مقيده ـ عفا اللَّه عنه وغفر له ـ: أما بالنسبة إلى أن اللَّه قادر على أن

---

(١) سبق تخريجه.

يفعل جميع ذلك، وأنه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الأسباب وإن لم تكن هناك مناسبة عقلية بين السبب والمسبب، كما قدمناه مستوفى في سورة مريم، فلا مانع من ذلك، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وأما بالنسبة إلى ثبوت وقوع مثل ذلك بالفعل فلم يقم عليه دليل مقنع؛ لأن غالب ما يستدل عليه به قائله حكايات لم تثبت عن عدول، ويجوز أن يكون ما وقع منها من جنس الشعوذة والأخذ بالعيون، لا قلب الحقيقة مثلاً إلى حقيقة أخرى، وهذا هو الأظهر عندي، والله تعالى أعلم.

obeikandl.com

تنبيه

اعلم أن ما وقع من تأثير السحر في رسول اللّه ﷺ لا يستلزم نقصاً ولا محالاً شرعيًا حتى ترد بذلك الروايات الصحيحة؛ لأنه من نوع الأعراض البشرية، كالأمراض المؤثرة في الأجسام، ولم يؤثر البتة فيما يتعلق بالتبليغ. واستدلال من منع ذلك زاعماً أنه محال في حقه ﷺ بآية: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾، مردود كما سنوضحه إن شاء اللّه تعالى في آخر هذا البحث.

قال ابن حجر في الفتح: قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها. قالوا: وكل ما أدّى إلى ذلك فهو باطل. وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثَمَّ، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه شيء.

قال المازري: وهذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن اللّه تعالى. وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه؛ فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعتري البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل اللّه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين.

قال: وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث: أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام؛ فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قلت: وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا، ولفظه: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»، وفي رواية الحميدي: أنه يأتي أهله ولا يأتيهم، قال الداودي: «يُرى» بفتح أوله، قلت: وهو من الرأي لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن. وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق: سحر

النبي ﷺ عن عائشة، حتى أنكر بصره. وعنده في مرسل سعيد بن المسيب: حتى كاد ينكر بصره.

قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده.

قلت: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد: فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبياً فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله.

قلت: فوقع الشق الأول، كما في هذا الحديث الصحيح. وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجة.

وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر من ذلك كما هو شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى: حتى كاد ينكر بصره، أي: صار كالذي أنكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل إليه أنه على غير صفته؛ فإذا تأمله عرف حقيقته.

ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه ﷺ في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلب: صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح: أن شيطاناً أراد أن يفسد عليه صلاته، فأمكنه الله منه[1].

فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصاً على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض: من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر بل يزول، ويبطل الله كيد الشياطين.

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض، بقوله في آخر الحديث: «أما أنا فقد شفاني الله»، وفي الاستدلال به نظر لكن يؤيد المدعي أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل: فكان يدور ولا يدري

(١) رواه البخاري [٤٥٣٠] ومسلم [٣٩/٥٤١].

ما وجعه. وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد: مرض النبي ﷺ، وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان.. الحديث انتهى من فتح الباري.

وعلى كل حال فهو ﷺ معصوم بالإجماع من كل ما يؤثر خللاً في التبليغ والتشريع. وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية: كأنواع الأمراض والآلام، ونحو ذلك فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر لأنهم بشر كما قال تعالى عنهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١] ونحو ذلك من الآيات.

وأما قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧] فمعناه أنهم يزعمون أنه ﷺ مسحور أو مطبوب، قد خبله السحر فاختلط عقله فالتبس عليه أمره. يقولون ذلك لينفروا الناس عنه. وقال مجاهد: ﴿مَّسْحُورًا﴾، أي: مخدوعاً مثل قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]، أي: من أين تخدعون. ومعنى هذا راجع إلى ما قبله؛ لأن المخدوع مغلوب في عقله.

وقال أبو عبيدة: ﴿مَّسْحُورًا﴾ معناه: أن له سحراً، أي: رئة فهو لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو مثلكم وليس بملك كقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وقوله عن الكفار: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ • وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣، ٣٤] ونحو ذلك من الآيات: ويقال لكل من أكل أو شرب من آدمي أو غيره: مسحور ومسحر ومنه قول لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذه الأنام المسحر

وقال امرؤ القيس:

أرانا موضعين لأمر غيب وتسحر بالطعام وبالشراب

أي: نغذى ونعلل.

وإذا علمت أن أقوال العلماء في قوله تعالى: ﴿مَّسْحُورًا﴾، راجعة إلى دعواهم اختلال عقله بالسحر أو الخديعة، أو كونه بشراً، علمت أنه لا دليل في الآية على منع بعض التأثيرات العرضية التي لا تعلق لها بالتبليغ والتشريع كما ترى، والعلم عند الله تعالى.

وقد أشرنا فيما تقدم لحكم ساحر أهل الذمة، واختلاف العلماء في قتله،

واستدلال من قال بأنه لا يقتل بعدم قتله ﷺ لبيد بن الأعصم الذي سحره.

والقول بأنه قتله ضعيف، ولم يثبت أنه قتله. وأظهر الأقوال عندنا أنه لا يكون أشدّ حرمة من ساحر المسلمين، بل يقتل كما يقتل ساحر المسلمين. وأما عدم قتله ﷺ لابن الأعصم فقد بينت الروايات الصحيحة أنه ترك قتله اتقاء إثارة فتنة، فدل على أنه لولا ذلك لقتله. وقد ترك المنافقين لئلا يقول الناس: محمد يقتل أصحابه فيكون في ذلك تنفير عن دين الإسلام مع اتفاق العلماء على قتل الزنديق وهو عبارة عن المنافق، والله تعالى أعلم[1].

(١) أضواء البيان [٤/ ٤٤٤ ـ ٤٧١].

obeikandl.com